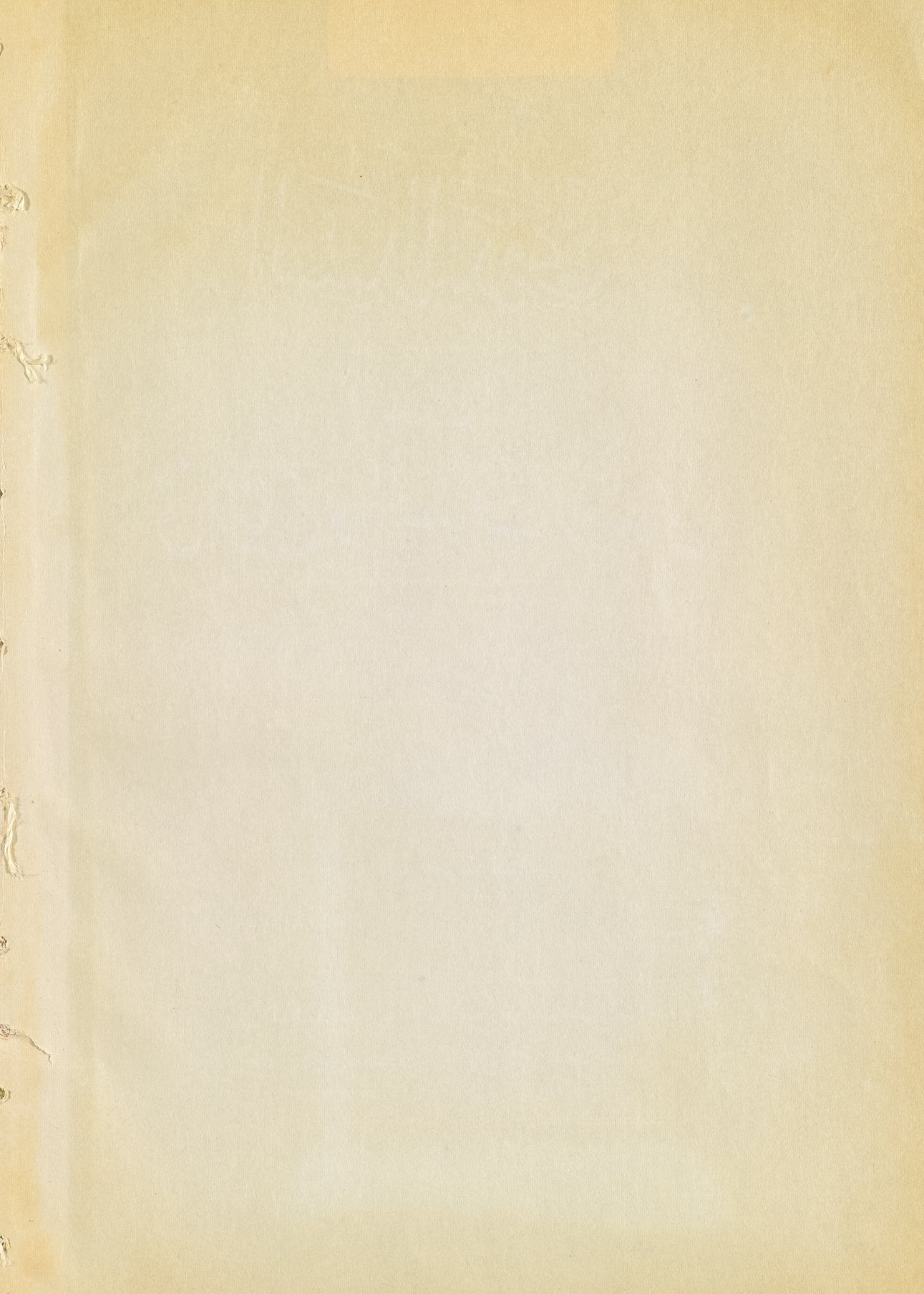


DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE







بحث
في التاريخ والتصوف الاسلامي

للأستاذ

ابراهيم احمد نور الدين

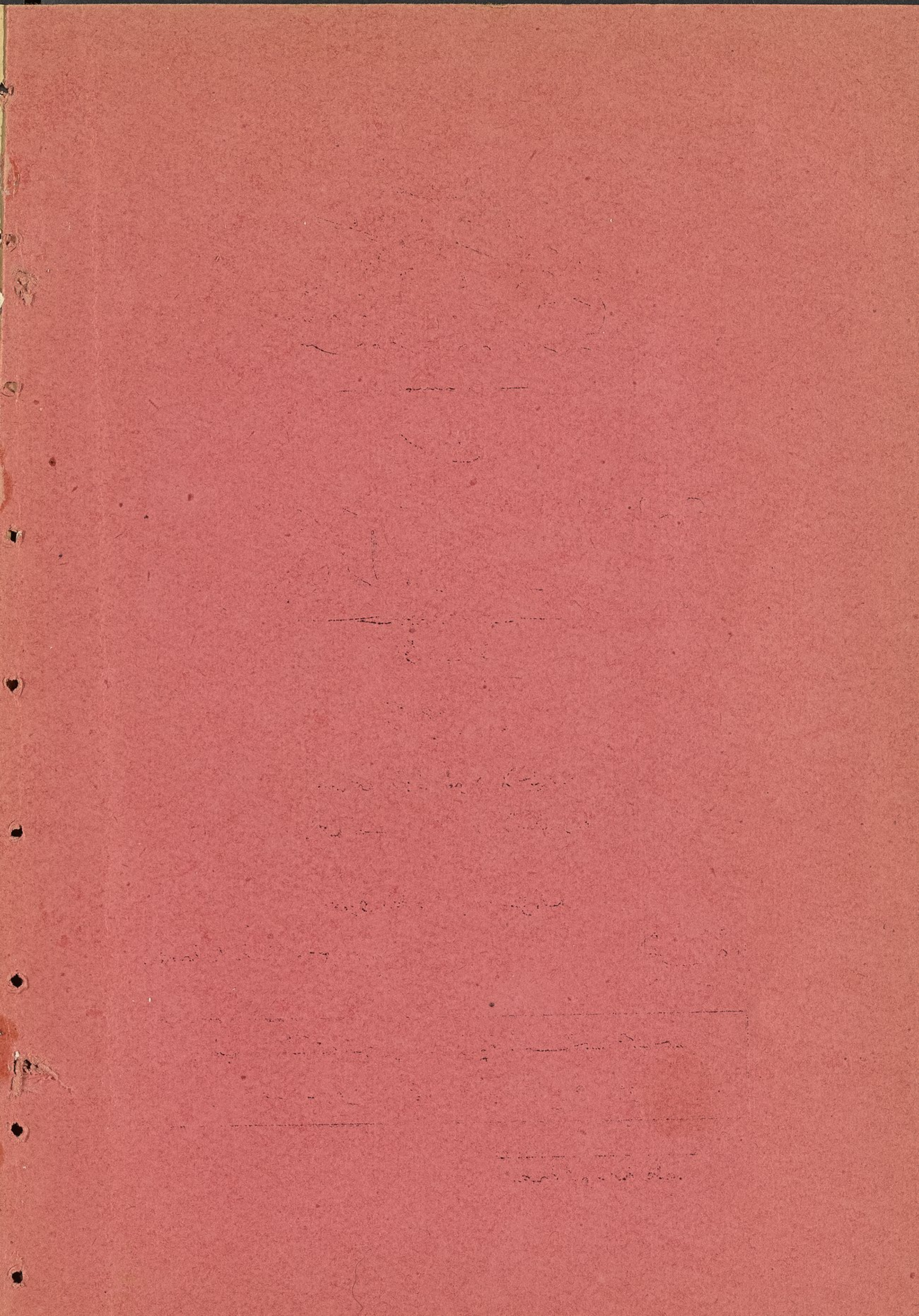
المدرس الأول للمواد الاجتماعية
برأس التين الثانوية بالاسكندرية

« الطبعة الثانية سنة ١٣٦٩ هـ »



يطلب من المكتبة التجارية الاسلامية لصاحبها محمد حسن
أبو العز بطنطا ـ ومن مكتبة الخانجي بشارع عبد العزيز بمصر

المطبعة اليوسفية بطنطا





بحث في التاريخ والتصوف الإسلامي

للأستاذ

ابراهيم احمد نور الدين

المدرس الأول للمواد الاجتماعية
برأس التين الثانوية بالاسكندرية

« الطبعة الثانية سنة ١٣٦٩ هـ »

الثمن ٢٠ مـ

يطلب من المكتبة التجارية الاسلامية لصاحبها محمد حسن
أبو العز بطنطا - ومن مكتبة الخانجى بشارع عبد العزيز بمصر

المطبعة اليوسفية بطنطا

الطبعة الاولى سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م
الطبعة الثانية سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م

موضوعات الكتاب

الخرائط .. والصور

الخرائط :

الصور :

تقـــدمة

بقلم الأستاذ الجليل أمين مرسى قنديل بك

المدير العام لدار الكتب الملكية بالقاهرة

كانت وزارة المعارف قد عهدت إلينا بالإشراف على تدريس المواد الاجتماعية ، فاتجهنا بها - فيما اتجهنا إليه - إلى العناية بالدراسات المحلية ، وضرورة توقيف الناشئين على كل ما فى بيئتهم التى يعيشون فيها من الظواهر الاجتماعية والثقافية وتشويقهم إلى الاهتمام بكل مايتعلق بها ، ثم الانتقال بهم تدريجياً إلى ما يقارب هذه الظواهر أو يخالفها فى البيئات الأخرى .

ولكن قبل أن يوجه المدرس تلاميذه إلى تفهم ما حولهم من آثار تاريخية ، وظواهر ثقافية شتى ، يجب أن يكون هو نفسه قد ألم بها من قبل ، ووقف على نشأتها وتطورها ومدى تأثيرها ، وتحمس لها التحمس الكافى .

ولذا أقبل كثيرون من زملائنا المدرسين على تعرف معالم البيئة التى يعملون فيها ، وتوافروا على دراستها من كل نواحيها ، دراسة جديدة تقوم على أسس علمية من حيث المشاهدة والبحث ، وجمع التفاصيل وموازنتها بعضها ببعض ، واختيار ما تثبت صحته وترجح كفته .

وكان الأستاذ ابراهيم احمد نور الدين من أوائل الذين استجابوا إلى هذا التوجيه الجديد ، وإذ كان يعمل فى مدارس طنطا الثانوية اعتزم أن يدرس أبرز معالم المدينة وأبعدها أثراً فى حياة أهليها الاجتماعية والاقتصادية وهو مزار ولى الله السيد احمد البدوى .

والسيد البدوى عربى الأصل ، مغربى الموطن ، نزح من بلاده وشامت

له الظروف أن يستقر فى طنطا ، فنزلها سنة ٦٣٧ هـ (١٢٤٠ م) ، ولبث فيها ٣٦ سنة ، متصوفاً متعبداً داعياً إلى الصلاح والتقى ، فما لبث أن ذاع صيته والتف حوله كثيرون من المريدين وتكونت له طريقة خاصة تفرعت عنها طرق شتى .

وكان العصر فى مصر عصر الدولة الأيوبية ، وسلطانها حينئذ الملك العادل أبو بكر ، ولم يكن الشعب راضياً عنه لمجافاته العدالة والدين ، فما عتمت سلطته أن دالت فى السنة التى حل فيها السيد مصر ، وتولى العرش أخوه الملك الصالح نجم الدين أيوب . ولا يخفى أن الدولة الأيوبية هذه سنّية المذهب ، وأنها حلت محل الدولة الفاطمية الشيعية التى ظلت تعمل سنين طوالا على نشر مذهبها بقوة وبطرق عدة ، فحذت الدولة الأيوبية حذوها وإن اتبعت طرقا غير طرقها ، وكانت الحروب الصليبية لاتزال قائمة يصطدم فيها الشرق بالغرب ، والاسلام بالمسيحية ، فكانت جموع الصليبيين وشراذمهم تفد من الغرب متجهة شرقا نحو مصر والشام ، تدفعهم حماستهم الدينية ، أو مطامعهم الاقتصادية ، أو هربهم مما هم فيه من شقاء وفاقة واستبداد ، ذلك إلى أن دولة المسلمين فى الأندلس قد اضطرب حبلها واختلف أهلوها فيما بينهم ، فتألب عليهم المسيحيون الأسبان يقتطعون بلادهم الجزء بعد الجزء ، حتى لم يكد يبقى فى أيدى المسلمين سوى غرناطة .

فالحزن الممض على تقلص تلك الحضارة الزاهرة التى لم تر أوربا مثلها فى عصرها ، والعنت والاضطهاد اللذان كانا من نصيب المسلمين الذين قضى عليهم أن يخضعوا لحكام غير مسلمين فى إسبانيا ، دفع الكثيرين إلى تطلب راحة النفس فى الهجرة عن الأندلس ، أو فى التصوف والزهادة ، فغادرها كثيرون واتجهوا كذلك نحو الشرق يحملون العلم والتقوى والصلاح ، لا الحرب والتعصب والفساد .

ومن جهة أخرى ، كان التتر فى الشرق الأقصى قد تحركوا نحو الغرب ، فاندفعوا بجحافلهم الجارفة ، واكتسحوا الشرق ، وقضوا على الدولة العباسية

سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، وحطموا حضارتها وأحرقوا كتبها ومظاهر ثقافتها وألقوا بها فى دجلة لتكون جسوراً يعبرون النهر عليها .

وهكذا كانت البلاد الاسلامية فى أزمة حربية ، فالتتر يهاجمونها من الشرق ، والمسيحيون يهاجمونها فى الاندلس من الغرب ، أو ينتقلون إلى بلادهم فى الشرق ، فأصبح المسلمون بين طرفى كماشة ، فهبوا يدفعون العدوان عن بلادهم يكافحون هؤلاء وهؤلاء ويدافعون عن دينهم .

كان المسيحيون يحاربون باسم الدين والمسيح ، والمسلمون يدافعون عن بلادهم باسم الله وباسم الرسول ، وكان الدين أكبر العوامل وأقواها أثراً فى العصور الوسطى ، ذلك إلى أن نظم الحكم الاستبدادية قد كبدت الأفراد الكثير من الشقاء ، مما جعل الناس يفضلون اعتزال هذه الحياة الدنيا ، فالتجأوا إلى الأديار إنتظاراً للحياة الأخرى ، أو الالتحاق بالجيوش المحاربة تطلباً للاستشهاد والهرب من عسف الحكام . وهكذا اختلط احتقار الدنيا والزهادة فيها بالأمل المرجو فى الحياة الاخرى الخالدة ، فبينما تفرغ جماعة للحرب والقتال تفرغ غيرهم للحياة الروحية ، حياة التأمل والتعبد ، فانقطع كثيرون من صلاّح المسلمين إلى التصوف العملى والنظرى ، وجعلوا يتنقلون فى بلاد المسلمين داعين إلى التقى والصلاح ، وكانوا يجدون حيثما حلوا أهلا وإخواناً يلتفون حولهم ويأخذون عنهم .

فلا غرو أن كان تجمع هذه العوامل كلها ، من حروب وعسف واستبداد وقلق نفسى ، وتدين غالب وزهادة فى الحياة ، وتطلب للعلم الدينى وتطلع للمعرفة - قد جعل ذلك العصر يحفل بكثير من الزهاد والمتصوفة وطرقهم الكثيرة ، ولا عجب أن يفد كثيرون من الاندلس وبلاد المغرب إلى الشرق يحملون معهم دواعى الراحة والطمأنينة والزهادة فى الحياة إلى حيث توجد الحرب والقتال والمطامع والتكالب على الحياة .

ففى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وفد على مصر وغيرها من البلاد الشرقية أبو الحسن الشاذلى ، وأبو العباس المرسى ، والشاطبى ، والتف حولهم ابن عطاء الله السكندرى وياقوت العـــرشى ، وأبو القاسم القبارى ، وكلهم استوطنوا الاسكندرية .

كذلك جاء إلى مصر السيد أحمد البدوى واستقر فى طنطا فقضى بها ٣٦ عاما ، كما ذكرنا ، على سطح منزل مناجياً ربه منقطعاً لعبادته ؛ والتف حوله خلق كثيرون جاءوا من مختلف أنحاء البلاد للتبرك والزيارة ؛ وأقيمت له المجالس العديدة والموالد الكثيرة ، مما جعل طنطا تحفل برواد التجارة والكسب ، كما حفلت بطلاب البركة والعلم ، فأصبح مزار السيد والجامع الاحمدى كعبة يتجه اليها آلاف الزوار ، فاتسعت المدينة ونمت على مر الزمان فاقترن اسم السيد البدوى بكل مرافقها وظواهر الحياة الاجتماعية فيها .

هذا وقد كثرت الشائعات حول كراماته ومناقبه وأعماله الخارقة للعادة والمألوف حتى اختلطت الحقيقة بكثير مما لا يرتضيه العقل .

فعمد الاستاذ ابراهيم أحمد نور الدين إلى دراسة حياة البدوى وشخصيته وحالة التصوف والمتصوفة فى عصره ، وأثر كل ذلك فى الحياة الاجتماعية فى طنطا ؛ وعكف على ما لديه من مراجع يبحث وينقب ، يحدوه التحقيق العلمى ومنهج البحث التاريخى . ويرى القارىء من ثبت مراجعه ومن سياق كتابه أنه بذل الجهد وحقق الكثير مما يرجى منه ، فأسدى بذلك يداً إلى طنطا وللتاريخ وللتربية الحديثة ، ولاشك فى أن جهوده الموفقة التى بذلها فى الدراسة والبحث ، واتجاهه إلى ربط الناحية العلمية بالناحية العملية ، والمدرسة بالمجتمع والتلميذ بالبيئة - كل هذه ستزيد فى توجيهه نحو مواصلة الدرس ، ومتابعة البحث حتى يبلغ بفنه وعلمه المستوى العالى الذى نرجوه للباحث المحقق ، والمدرس العامل ، والشباب الطامح ، والوطن الخالد ؟

تقـــديم

بقلم الأستاذ الجليل محمد نوفل

مراقب منطقة طنطا التعليمية (سابقاً)

ألقى الأستاذ ابراهيم أحمد نور الدين جملة محاضرات عن حياة « السيد البدوى » بطنطا استمع إليها عدد كبير من الناس ، وفى مقدمتهم رجال الدين وعلماء المعهد الأحمدى ، ورجال التعليم .

وكانت لى متعة الاستماع إليها ، وقد صاغ هذه المحاضرات فى كتاب قيم أودع فيه أسرارها ، ونسج فيه على منوال تاريخى طريف بلغة مستساغة عذبة جزلة ، وضم بين دفتيه كل ما يتصل بحياة هذا البدوى الرحالة الصوفى الزاهد الورع ؛ وهو ، كما يقول المؤلف : « من القليلين الذين ذاع صيتهم ، واشتهر أمرهم فى مصر خاصة والشرق عامة فى القرن السابع الهجرى » .

وهذا المؤلف قد ملأ فراغاً ملحوظاً فى تاريخ التصوف عامة وطنطا خاصة وهى المدينة التى تدين لهذا البطل بشهرتها العالميـة ؛ وتقدمها العمرانى والاقتصادى إلى حد كبير .

وقد استعان المؤلف بشتى المراجع ؛ ودقق فى بحوثه ، وحقق الأسانيد ومحصها ، ونظر نظرة الباحث بمنظار العصر نفسه . وقد أحسن بما عرّف به طريقته إذ يقول : « إن من الحكمة وحسن التقدير أن ينظر الباحث إلى العصر

الذى يكتب فيه بمنظار العصر نفسه ، وأن يكون حكمه قائماً على قاعدة القياس مع الفارق ، فيعطى مالقيصر لقيصر ، وما لله لله » .

هـذه روح المؤرخ النزيه الذى لا تلهيه المظاهر الخلابة ، أو العبارات المنمقة عن عرض الشىء على حقيقته الناصعة المجردة من كل شوائب الخطأ والزيغ - لقد أدى الأستاذ المؤلف مهمته وحسبه من العلم وعن العلم رضا النفس وراحة الضمير ، ولقد أظهر البدوى للعالم على حقيقتـه ، فأزال عن عيون الناس غشاوة الأساطير الكاذبة ، والأراجيف الباطلة المنسـوبة إليه ظلماً وعدواناً .

لقد استحق الأستاذ بمجهوده هذا من التاريخ العرفان بالجميل ، ومن أهل العلم كل تقدير وإعجاب وثناء ؟



كلمة المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد بن عبد الله ، ومغفرته ورضوانه للصحابة والتابعين، والأولياء الصالحين، الذين آمنوا وكانوا يتقون

وبعد : أفتتح بحثى عن تاريخ حياة « السيد احمد البدوى » العابد الزاهد ، أحمد بن على بن ابراهيم الذى يتصل نسبه بعلى بن أبى طالب ، كرم الله وجهه .

اشتهر أحمد البدوى بالديار المصرية عامة ، وبطندتا (طنطا) خاصة ، فى القرن السابع الهجرى - الثالث عشر الميلادى ، فملك على كثير من المصريين مشاعرهم ، وملأ قلوبهم محبة له لما اتصف به من التقوى والورع والصلاح . .

وقد استرعت هذه الحالة أنظار مؤلفى « دائرة المعارف الاسلامية » - وهم من جهابذة المستشرقين - فسجلوا له فى ثقة وصراحة أنه : « أكبر أولياء مصر ، ومحل تقديس أهلها منذ قرون (١) » .

وقد سبقهم إلى ذلك الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فقال : « إن شهرته فى جميع الأقطار تغنى عن تعريفه (٢) » .

وليست دراسة تاريخ السيد البدوى سهلة المنال دانية القطوف ، وذلك لاتصالها بحركتين عظيمتين :

---

(١) المجلد الاول : ص ٤٦٥   (٢) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٥

الأولى دينية فلسفية ، وهى التصوف الاسلامى . والثانية دينية سياسية وهى التشيع لعلى بن أبى طالب وأولاده من بعده .

ولقد بدأت هذا البحث بعد أن نقلت مدرساً بمدرسة طنطا الثانوية سنة ١٩٤٣ ، وذلك رغبة فى دراسة البيئة التاريخية لهذه المدينة ، وأتممت بحثى سنة ١٩٤٦ ، ولكنى لم استطع طبعه ونشره إلا سنة ١٩٤٨ لظروف طارئة .

ولعلى قد استطعت بما وفقت إليه من حقائق ، أن أكون قد أوضحت ماغمض من تاريخ البدوى ، وما خفى من بعض أسرار عصره ، مما يراه القارىء الكريم مفصلا فى هذا الكتاب ، الذى أتشرف بتقديمه قبل نقلى إلى مدرسة دمنهور الثانوية .

ونظراً لما لمسته من إقبال الجمهور على طلب الكتاب حتى نفدت طبعته الأولى ، رأيت أن أعيد طبعه مرة ثانية لأهيىء الفرصة لكل من يريد الاطلاع عليه .

وقبل أن أختتم كلمتى لا يسعنى إلا أن أقدم عظيم شكرى وتقديرى لكل من ساهم فى إتمام هذا البحث وساعد على إخراجه ، وفقنا الله لخدمة العلم ، وهدانا جميعاً الطريق القويم فى عهد جلالة الفاروق العظيم ، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير ؟

ربيع الثانى سنة ١٣٦٩ هـ

ينـاير سنة ١٩٥٠ م



الفصل الأول

ميلاد السيد أحمد البدوى ونسبه

١ - تاريخ الميلاد وتحقيقه :

ولد أحمد البدوى بمدينة « فاس » بالمغرب الأقصى (مراكش) سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) .

وقد أجمع المؤرخون والرواة على صحة هذا التاريخ ، كتقى الدين المقريزى وجلال الدين السيوطى ، وعبد الوهاب الشعرانى ، وعبد الصمد زين الدين ، والخفاجى ، ومؤلفى دائرة المعارف الاسلامية (١) ، وغيرهم ممن نقل عنهم قديماً وحديثا .

وقد أوضح بعض من ذكرنا تاريخ ميلاد أحمد صراحة كالسيوطى (٢) وعبد الصمد (٣) ، وروى بعض آخر هذا التاريخ بطريق غير مباشر ، فروى المقريزى أن تاريخ وصول أسرة أحمد إلى مكة للحج كان سنة ٦٠٧ هـ ، فى الوقت الذى كانت فيه سنه إحدى عشرة سنة ، فيكون تاريخ ميلاده سنة ٥٩٦ هـ . أما الشعرانى فقد قال إن الأسرة خرجت من بلاد المغرب للحج سنة ٦٠٣ هـ ، عندما كانت سن أحمد سبع سنوات ، فيكون تاريخ ميلاده سنة ٥٩٦ هـ (٤) .

---

(١) راجع ثبت المراجع بآخر الكتاب — (٢) حسن المحاضرة : ج ١ ص ٢٩٩

(٣) الجواهر ص ٥ — (٤) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٥

ويقول مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية : « ولد أحمد بفاس بزقاق الحجر ويحتمل أن يكون ذلك سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) (١) ، ويظهر من قولهم نص الاحتمال بغير تأكد أو تحقيق .

ولعل ذلك يرجع إلى جهل الرواة ـ على اختلاف مشاربهم وعصورهم ومراجعهم ـ باليوم أو الشهر اللذين ولد فيهما أحمد ، إلا أن اتفاق اثنين من أشهر مؤرخي العصر ، وهما المقريزى ، المتوفى سنة ٨٤٥ هـ ، والسيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ ، أكبر دليل على صحة ذلك التاريخ .

ويعتبر تحقيق ميلاد أحمد من الأمور العظيمة الأثر فى تاريخه ، إذ يجعل ما نسب إليه من صلته بالفاطميين ضرباً من المغالطة والافتراء وبخاصة إذا علمنا أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، قد بدأ فى تأسيس دولته بمصر بعد سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) ، أى قبل ميلاد أحمد بنحو تسع وعشرين سنة (٢) .

وإذا كانت هناك صلة بين أحمد وبعض فرق الشيعة الأخرى فانها ليست عن طريق الفواطم بحال ما ، كما سيظهر من دراسة نسبه .

***

٢ ـ النسب واختلاف الرواة فيه :

اتفقت الروايات على أن نسب أحمد متصل بجده علىّ بن أبى طالب ، إلا أنه ظهر بعض الخلاف فى تسلسل هذا النسب وبخاصة حول « حسن العسكرى »

(١) الجلد الاول : ص ٦٥ ؛

(٢) من الشائعات أن البدوي كان جاسوساً فاطمياً ، وأنه حضر الى مصر لاغراض سياسية ، وهذا يخالف الواقع كما سيظهر فى أثناء البحث .

الامام الحادى عشر من الأئمة الاثنى عشرية ، وأحد أجداد أحمد الأوائل ، فضلا عن الخلط بين الأسماء المتشابهة ونسبة الألقاب إليها ، فقد ورد اسم « محمد » أكثر من مرة ، وكذلك « حسن » و « جعفر » ، وتشابهت الالقاب على الرواة فنسبوا لقب « الجواد » إلى محمد آخر غير « محمد الجواد » الاصيل ، المتوفى سنة ٢٢٠ هـ . وأضافوا لقب « الهادى » أو « الرضا » إلى على آخر غير « على الهادى » الحقيق ، المتوفى سنة ٢٥٤ هـ ، أو غير « على الرضا » الذى اختص بهذا اللقب فى الاصل ، وهو المتوفى سنة ٢٠٢ هـ ، كما أطلقوا على حسن بن جعفر لقب « العسكرى » الذى نُسب فى الاصل إلى عمه « حسن » بن على الهادى(١) .

وأول من روى نسب أحمد ، هو الشيخ يونس بن عبد الله(٢) المعروف بابن أزبك الصوفى ، فى كتابه « النسبة » الذى اعتمد عليه صاحبا الجواهر والنفحات (٣) اعتماداً كبيراً فيما كتباه عن تاريخ أحمد البدوى .

وقد خلط ابن أزبك خلطاً ظاهراً فيما قال ، فأطلق على حسن بن جعفر ، أخى حسن العسكرى ، لقب « العسكرى » ثم أسقط اسم حسن العسكرى الاصيل من سلسلة النسب كلية ، كذلك خلط بين على الهادى ، وعلى الرضا ، فحذف من السلسلة علياً الهادى ، ومحمداً الجواد لأنه لم يعرف بالدقة — على ما يظهر — الموضع الحقيقى لكل منهما فى سلسلة النسب (٤) .

على أن ابن أزبك يناقض نفسه فيذكر نسب الامامية الاثنى عشرية واضحاً

---

(١) وفيات الاعيان : ج ١ ص ١٣٥ ، ٣٢١ .

(٢) الراجح أنه يونس بن يوسف بن مساعد الشيبانى شيخ الطريقة اليونسية ، المتوفى سنة ١٧٩ هـ كما روى المقريزى . (راجع وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٢٠) .

(٣) هما عبد الصمد والحلبى (راجع ثبت المراجع بآخر الكتاب)

(٤) يراجع الاصل فى الجواهر ص ٦ وفى النفحات ص ٥٦

فى أبيات من الشعر ، قال إن أحمد رددها فى منامه قبيل رحيله إلى العراق ، وقد نقلها صاحب الجواهر وهاك نصها (١) :

إمام ملوك الأرض شرقاً ومغرباً	وأفضلهم طه الحبيب المطيَّبُ
أبو بكر الصديق مع عمر كذا	وعثمان ذو النورين (٢) بالفضل قد حبوا
ومن بعدهم زين العشائر كلهم	علىٌّ ، أمير المؤمنين ، الملقب
ومن بعده الحسن المنير جبينه	سُقى من شراب بالسموم مشرب
ومن بعده حىٌّ الحسين كريمه	شريف ، شهيد (٣) ، مات وهو مطيب
وناحت لهم كل الطيور بأسرها	ووحش الفلا ، كل ينوح ويندب
وجاءت لهم طير تنوح لحزنهم	وهم فى الدما بين الأعادى تقلبوا
وقاتلهم فى النار أضحى معذباً	بقتلهم أمسى شقياً يعذب
ومن بعدهم زين القبائل كلهم	علىٌّ ابنه ، فهو الشريف الملقب
ومن بعدهم قطب العلوم محمد	وجعفر موسى ، من أصول تطيبوا
ومن بعدهم ذاك الرضاء عليهم	بطوس (٤) ، له قبر كريم محجب
ومن بعدهم ، زين الرضاء محمدٌ	كذاك ابنه الهادى ، على المقرب
وأما على فالخليفة بعدهم	على سائر الأقطاب وهو مؤدب

والأئمة الاثنا عشرية الذين وردت أسماؤهم فى هذه الأبيات هم :

---

(١) ورد نص هذه الابيات في الجواهر ص ٣١ ، ويتفق ما جاء بها من نسب الشيعة الامامية مع ما هو معروف الآن من نسبهم على التحقيق

(٢) سمى كذلك لزواجه ابنتين من بنات الرسول وهما زينب ورقية على التوالي

(٣) يشير الى حادثة كربلاء التى قتل فيها الحسين سنة ٦١ هـ

(٤) بلد بخراسان ، بها قبرا على الرضى وهرون الرشيد

١ - على بن أبي طالب - ٢ - الحسن بن على - ٣ - الحسين بن على
٤ - على (زين العابدين) بن الحسين - ٥ - محمد (الباقر) - ٦ - جعفر
(الصادق) - ٧ - موسى (الكاظم) - ٨ - على (الرضا) - ٩ - محمد (الجواد)
١٠ - على (الهادى) - ١١ - حسن (العسكرى) - ١٢ - محمد (المهدى) المنتظر

ويشير أحمد فى البيت الأخير إلى مركز أبيه (علىّ) فى الخلافة الصوفية أو القطبية بين المتصوفة .

وفى الحقيقة ، إن نسب أحمد فى هذه المرحلة لا يختلف فيه اثنان . وقد أجمع الكتاب والرواة فى كل عصر على صحة ما رواه ابن ازبك فى أبيات الشعر السابقة ، كابن خلكان(١) ، واستانلى لينبول(٢) ، ومؤلفى دائرة المعارف الاسلامية (٣) .

***

٣ - تحقيق النسب :

ولكن موضع الضعف فى سلسلة النسب جاء فى المرحلة التالية ، إذ أن محمداً (المهدى المنتظر) ، الامام الثانى عشر ، ابن حسن العسكرى ، اختفى سنة ٢٦٠ هـ ، ولم يعقب ، فظل أمر الامامة متصلا بوالده حسن العسكرى وبجعفر أخيه ، وهو الذى كان ينافسه فى منصب الامامة ، والذى ورد اسمه مع ابنه حسن من بعده فى نسب أحمد ، وكان سبباً فى كثير من الخلط والاضطراب فى الأسماء وألقابها .

---

(١) الوفيات : ج ١ ص ٣٢٠ وما بعدها (٢) تاريخ مصر فى العصور الوسطى : ص ١١٦
(٣) المجلد الاول : ص ٤٢٩ .

ومما يزيد فى تعقيد هذه المرحلة من النسب أن هناك اسما آخر لشخص من أصل فارسى يدعى « حسن بن جعفر النوبختى » ، تزعم فريقاً من الشيعة لينافس جعفراً ، أخا حسن العسكرى ، ولقد أدى هذا التنافس إلى الاحتكام إلى القضاء فى بغداد ، وبخاصة عند ما ادعت (صقيل) ، زوجة حسن العسكرى الحمل بعد سبع سنوات من وفاة زوجها ، فقضى القاضى لجعفر أخى حسن العسكرى بحقه فى الامامة سنة ٢٦٧ ﻫ (١) .

وعلى الرغم من تعقد سلسلة النسب بعد حسن العسكرى ، كما مرّ بنا ، فقد أنار لنا المقريزى السبيل ، ولكنه حاول أن يجنب نفسه طريق الوقوع فيما وقع فيه سابقوه من الخلط بين الأسماء وألقابها ، فأورد الأسماء فى ترتيبها الطبيعى دون ألقاب إلا فى القليل النادر ، وإنى أوردها هنا كما نقلها عنه الخفاجى (٢) . وأضيف إلى الأسماء ألقابها الصحيحة بين أقواس :

هو السيد أحمد بن على بن ابراهيم بن محمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن عمر بن على بن عثمان بن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن على ابن محمد بن حسن بن جعفر (٣) (وهو أخو حسن العسكرى) بن على (الهادى) ابن محمد (الجواد) بن على (الرضا) بن موسى (الكاظم) بن جعفر (الصادق) ابن محمد (الباقر) بن على (زين العابدين) بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

---

(١) الفاطميون في مصر : ص ٤٨ وما بعدها ، الوفيات : ج ٢ ص ٤٥١

(٢) النفحات : ص ٥١

(٣) الاسماء التى وضع تحتها خط محذوفة من سلسلة النسب المنقوشة على الضريح

ولقدكان من نتائج الاضطراب فى سلسلة النسب أن اضطر أولئك الذين نقشوا نسب أحمد على المقصورة بالقبة ، إلى حذف الجزء المضطرب بأكمله إذ بمراجعتى لهـذه السلسلة رأيت أنهم انتقلوا من عيسى إلى على (الهـادى) مباشرة ، بعد حذف على ومحمد وحسن وجعفر .

ولعل هذا الحذف قد قصد بالذات حتى لا يتسرب الشك إلى نسب أحمد فيتصل بحسن بن جعفـر النوبختى ؛ الفـارسى الأصـل ؛ وإنى لا أرجح هـذا الاحتمال ، وأرى أن السبب الأول فى هذا الحذف إنما هو الخلط الذى وقع فيـه ابن أزبك الصوفى ، ومن نقـل عنه من الرواة ، إذ أطلقوا على (علىّ) والد (عيسى) لقب « الهادى » ، وعلى ذلك كان عليهم أن يسموا (محمـداً) ، والد على « الجواد » ، إذ أن الجواد هو والد الهادى حقاً ، ومن هنا نشأ الخلط الذى وقع فيه الرواة .

* * *

٤ - سلسلة النسب المحققة :

وتلخص هذه السلسلة ما سبق أن أشرت إليه من أنساب الشيعة عامة ؛ ونسب البدوى خاصة ، وقد رجعت فى تحقيق أنساب الشيعة إلى ما رواه عنهم ابن خلـكان وليفبول وغيرهما من كتاب العصر الحاضر .

وها هى ذى السلسلة :

(١) على بن أبى طالب

(٢) الحسن (توفى فى ٥٠ هـ)

(٣) الحسين (توفى فى ٦١ هـ)

(٤) على زين العابدين (توفى فى ٩٤ هـ)

(٥) محمد الباقر (توفى فى ١١٣ هـ)

(٦) جعفر الصادق (توفى فى ١٤٨هـ)

(٧) موسى الكاظم (توفى فى ١٨٣ هـ)

(٨) على الرضا (« « ٢٠٢ هـ)

(٩) محمد الجواد (« « ٢٢٠ هـ)

(١٠) على الهادى (« « ٢٥٤ هـ)

(٧) اسماعيل (أو محمد)

(١) اسماعيل ؛ ومن نسله ظهر الفاطميون

(١١) حسن العسكرى

(١٢) محمد المنتظر (٢٦٠ هـ) (وهو آخر الأئمة الاثنى عشرية)

(١) جعفر (سمى الصادق خطأ ومن نسله ظهر البدوى

(٢) حسن (ويتفق اسمه مع النوبختى)

(٣) محمد (سمى الجواد خطأ)

(٤) على (سمى الهادى خطأ)

(٥) عيسى (٦) يحيى (٧) موسى (٨) محمد (٩) حسين

(١٠) عثمان (١١) على (١٢) عمر (١٣) إسماعيل

(١٤) أبو بكر (١٥) محمد (١٦) ابراهيم (١٧) على

(١٨) أحمد البدوى


خريطة
تبين الأقطار التي اتصلت
برحلات أسرة السيد أحمد البدوي
بحر الروم
بلاد المغرب
الصحراء الكبرى
آسيا الصغرى
العراق
جزيرة العرب
الحجاز
النوبة
اليمن
الحبشة
بحر العرب
فارس
طبرستان
الأندلس
قرطبة
وهران
طنجة
تلمسان
فاس
مراكش
سجلماسة
سردينيا
الجزائر
بونة
كتامة
تونس
القيروان
المهدية
صقلية
طرابلس
برقة
كريت
قبرص
الإسكندرية
القاهرة
مصر
أسيوط
قنا
أسوان
القدس
حلب
حماة
سلمية
تبوك
المدينة
مكة
صنعاء
الموصل
أربل
بغداد
واسط
الكوفة
البصرة
الأهواز
شيراز
همذان
جيلان
بسطام
نيسابور
طوس
بحر الخزر

الفصل الثاني

هجرة أسرة البدوي إلى بلاد المغرب وعودتها إلى الحجاز

١ - أفراد الأسرة :

كان أحمد سابع إخوته ، وهم : الحسن ، ومحمد ، وفاطمة ، وزينب ، ورقية وفضة ، ويضيف اليهم أبو السعود الواسطى (١) أم كلثوم ، فأفراد هذه الأسرة سبعة أو ثمانية ، وقد أقرت ذلك دائرة المعارف الاسلامية(٢) .

ويكوّن هؤلاء الأبناء مع أبيهم على بن ابراهيم ، وأمهم فاطمة بنت محمد ابن أحمد بن عبد الله بن مدين بن شعيب ، أسرة كريمة المحتد ، عربية الأصل، هاجر أجدادها من بلاد العرب ، وحطوا رحالهم فى بلاد المغرب ، بين القبائل العربية ، الضاربة بصحارى تلك الجهات النائية ، وفيافيها المشابهة لمثيلاتها فى شبه الجزيرة العربية .

* * *

---

(١) هو أحد المتصوفة الذين نقل عنهم عبد الصمد ، وله مخطوط بدار الكتب الملكية بالقاهرة ، باسم « قواعد التصوف » (راجع التصوف الاسلامي : ج ١ ص ٣٣٩)

(٢) المجلد الاول ص : ٤٦٥

٢ - تاريخ الهجرة من الحجاز الى المغرب وتحقيقه :

ولا يعرف بالضبط تاريخ هجرة هذه الأسرة إلى بلاد المغرب ، ويرجع كل ما تناقله الرواة فى هذا الصدد إلى رواية ابن أزبك الصوفى ، التى رواها فى « نسبته » الشهيرة ، وقد نقل عنه كل من كتب عن تاريخ أحمد دون تمحيص أو تحقيق .

وتتلخص تلك الرواية فى أن هجرة الأسرة إلى بلاد المغرب كانت سنة ٧٣ هـ ، على يد « محمد الجواد بن حسن العسكرى بن جعفر » . فراراً من ظلم الحجاج الثقفى . وتعقبه للعلويين بمكة بعد استشهاد عبد الله بن الزبير(١) .

ويردد الشعرانى هذه القصة فيقول : « كان مولد أحمد بزقاق الحجر ببلدة فاس بالمغرب الأقصى ؛ لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج إليها ، حيث أكثر القتل فى الشرفاء(٢) » .

ويتمم على مبارك باشا القصة فى خططه فيقول : « وأول من نزل من أجداده ببلاد المغرب ، هو محمد الجواد بن حسن العسكرى ، من نسل على ابن أبى طالب(٣) » .

وتقرر ذلك دائرة المعارف الإسلامية فتقول :

« انتقل أجداده إلى مدينة فاس حوالى سنة ٧٣ هـ (٦٩٢ م) ، عندما اضطربت أحوال الجزيرة العربية(٤) » .

---

(١) الجواهر : ص ١٠ ، النفحات : ص ٦٤

(٢) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٥ (٣) الخطط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٨

(٤) المجلد الاول : ص ٤٦٥

غير أن هذه القصة التى أجمع على صحتها الكتاب السابقون لا تتفق والحقائق التاريخية المعروفة إلا فى جزء منها فقط ، إذ أنه من المسلم بصحته تاريخياً أن الحجاج بن يوسف الثقفى دخل مكة حيث استشهد ابن الزبير فى جمادى الآخرة سنة ٧٣ هـ (٦٩٢م) ، وذلك فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٥ هـ = ٦٨٥ - ٧٠٥ م) ، حفظاً لكيان الدولة الأموية ، ورغبة فى القضاء على خلافة ابن الزبير التى هددتها ردحا من الزمن(١)

أما بقية القصة فلا تعتبر بحال جزءاً متمماً للحقيقة التى سبقت الإشارة إليها ، إذ أن محمداً الجواد بطل هذه القصة ، لم يكن قد ولد بعد ، فهو الإمام التاسع من الأئمة الاثنى عشرية ، المتوفى سنة ٢٢٠ هـ .

وإذا قصد بمحمد (الجواد) محمد بن حسن بن جعفر بن على الهادى - كما أسلفنا فى سلسلة النسب ، وكما كان يعتقد ابن أزبك خطأ - يكون ذلك أدعى إلى نقض هذه القصة من أساسها ، لأن محمد بن حسن بن جعفر عاش فى النصف الأخير من القرن الثالث الهجرى (بعد سنة ٢٦٠ هـ) ، وليس فى نهاية القرن الأول (حوالى سنة ٧٣ هـ) ، كما روى ابن أزبك ومن نقلوا عنه .

ومما يؤكد لنا أنه كان يقصد هذا المعنى الأخير ، أنه روى فى قصته أن محمداً الذى سماه (الجواد) تزوج عند ما دخل فاس من إبنة السلطان ، وكان أول أولاده منها علياً (الهادى) ، ولما تزوج علىٌ هذا ، كان أول أولاده عيسى .... إلى آخر ما سبقت الاشارة إليه فى سلسلة النسب .

---

(١) تاريخ الاسلام السياسى : ص ٣٤١ وما بعدها

فكأنه كان يقصد بمحمد (الجواد) محمد بن حسن بن جعفر، أخا حسن العسكرى، لا محمداً الجواد بن على الرضا، وفى هذه الحالة يمكننا أن نستنتج أن أسرة أحمد انتقلت إلى المغرب فى النصف الأخير من القرن الثالث الهجرى، أى بعد سنة ٢٦٠ هـ. فى الوقت الذى ظهرت فيه قوة مذاهب الشيعة، واتسعت دعوتها ضد العباسيين فى البلاد النائية من الدولة الإسلامية ولا سيما المغرب الأقصى (١).

غير أن رواية ابن أزبك لاتزال فى حاجة إلى تمحيص، إذ أنه لم يكن قد ظهر فى بلاد المغرب لقب «السلطان» بين ألقاب الحكام، ذلك اللقب الذى لم يظهر إلا فى عهد المرابطين من أتباع «يوسف بن تاشفين»، ثم بين الموحدين من أنصار «محمد بن تومرت»، فى القرنين الخامس والسادس من الهجرة؛ فضلا عن أن الأسرة لم تدخل مدينة فاس إلا فى القرن السادس كما روى حسن أخو أحمد إذ قال: «قدمنا على مدينة فاس، وأقمنا بها سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، بزقاق الحجر(٢).

وإذا وازنا بين رواية ابن أزبك بعد تحقيقها وما رواه حسن أخو أحمد ظهر لنا أن الاسرة هبطت بلاد المغرب فى القرن الثالث الهجرى، ولكنها لم تدخل فاس إلا فى القرن السادس.

* * *

---

(١) خرج ادريس من نسل الحسن بن على بن أبي طالب الى المغرب فى عهد أبي جعفر المنصور، وأسس هناك دولة الادارسة، ومنذ ذلك الحين أخذ نفوذ الشيعة يزداد في بلاد المغرب على مر الزمن، حتى ظهرت دولة الفواطم في فاتحة القرن الرابع الهجرى.

(٢) الجواهر: ص ١٤.

٣ - العودة الى الحجاز وأسبابها :

اضطربت الأحوال فى بلاد المغرب منذ ظهور دعوة محمد بن تومرت الذى أنشأ دولة الموحدين ، وادعى أنه المهدى المنتظر فى فاتحة القرن السادس الهجرى (١) ، وقد عمل خلفاؤه من بعده على نشر مذهبه ، وحاربوا المرابطين وهزموهم ، وطاردوا أتباعهم ، وأخرجوهم من ديارهم ، وورثوهم فى الملك والسلطان فى أفريقيا والأندلس .

لهذا اضطرت أسرة البدوى إلى أن ترحل إلى بلاد أكثر أمناً وأرغد عيشاً من بلاد المغرب ، وبخاصـة بعد أن زاد اضطهاد الموحدين لبقايا المرابطين الذين ظلوا على مبادئهم ورفضوا الخضوع للحكام الجدد ، طيلة النصف الأخير من القرن السادس الهجرى .

وما أن بدأ القرن السابع الهجرى ، حتى أعلن على بن ابراهيم ، رب الأسرة ، أنه رأى كما يرى النائم من يأمره بالرحيل إلى الحجاز(٢) ويقول له : « ارتحل من هذا المكان إلى مكة ، فإن لنا فى ذلك شأناً(٣) » . فأعلن رب الأسرة الرحيل ، رغبة فى الحج إلى بيت الله الحرام ، وهو سبب ظاهرى

---

(١) الوفيات : ج ٢ ص ٣٧

(٢) يرى السنيون أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، ويفسر ذلك الشيخ ابراهيم الباجورى في حاشيته فيقول : (ووجه ذلك على ماقيل ، أن زمن الوحي ثلاث وعشرون سنة ، وأول ما ابتدئ (صلعم) بالرؤيا الصالحة ، كان زمنها ستة أشهر ، ونسبة ذلك الى سائر المدة المذكورة ، جزء من ستة واربعين جزءاً) . (راجع سعادة الدارين للنبهاني ص ٤١١ - طبع بيروت ١٣١٦ هـ) .

(٣) النفحات : ص ٦٥ .

يخفى وراءه الحقيقة التى تظهر فى البيتين الآتيين اللذين أنشدهما علىّ والد البدوى يوم الرحيل يصف فيهما الحجاز :

رحلنا إلى أرض يفوح شذاؤها   إلى عرب مالى سواهن مُدخر
رحلنا إليها نستظل بظلها   يصير لنا فيها مقام ومصدرُ (١)

ويتفق الرواة كالمقريزى والشعرانى ومؤلفى دائرة المعارف الإسلامية على أن خروج الأسرة من بلاد المغرب كان سنة ٦٠٣ هـ ، وكان وصولها إلى مكة سنة ٦٠٧ هـ وبذلك تكون الرحلة قد استغرقت أربع سنوات .

ويصف الشعرانى هذه الرحلة على لسان حسن أخى أحمد ، فيقول :

« فما زلنا ننزل على عرب ، ونرحل عن عرب ، فيتلقوننا بالترحيب والاكرام ، حتى وصلنا مكة المشرفة فى أربع سنين ؛ فتلقانا شرفاء مكة كلهم وأكرمونا ، ومكثنا عندهم فى أرغد عيش(٢) » .

وليس وقت خروج الأسرة من المغرب موضع خلاف ، ولكن زمن وصولها إلى مكة هو محل الشك ، إذ أن أبا السعود الواسطى ، وجلال الدين السيوطى ، يختلفان فى ذلك :

فيرى الأول أن الأسرة استقرت بمصر خمس سنوات . أما الثانى (السيوطى) ، وهو حجة فى تاريخ مصر فى تلك العصور ، فيقول : « وحج البدوى سنة ٦٠٩ هـ مع أبيه ، وأقام بمكة إلى أن مات أبوه (٣) » .

وبذلك يؤخر السيوطى موعد وصول الأسرة إلى مكة سنتين ، وقد نقل عنه الخفاجى وأخذ برأيه ، لأنه من الراجح أن تكون الاسرة قد مرت

---

(١) النفحات : ص ٦٥ .   (٢) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٥ .
(٣) حسن المحاضرة : ج ١ ص ٢٩٩ .

بمصر ، واستقرت ببعض جهاتها وقتاً ما . ويقرر ذلك فى صراحة على مبارك باشا ، فيقول :

« ثم رحل بالبدوى أبوه على بن ابراهيم مع سائر أولاده وأهله سنة ٦٠٣هـ يريد الحجاز للحج فمر فى طريقه بمصر ، وأقام معهم فيها مدة (١) » . وقد تكون المدة التى قضتها أسرة البدوى بمصر سنتين ؛ وهى الفرق بين سنة ٦٠٧هـ التى أشار إليها أكثر الرواة ، وبين سنة ٦٠٩ هـ التى انفرد بذكرها السيوطى .

****

٤ — تفكك الأسرة :

كان مرور أسرة البدوى بمصر فى عهد الملك العادل سيف الدين ؛ أخى صلاح الدين الأيوبى ، (٥٩٧ — ٦١٥ هـ) (٢) .

وبعد أن أقامت الأسرة سنتين بمصر ، واصلت سيرها إلى الحجاز ، وألقت عصا التسيار بمكة ، وظلت بها فى أرغد عيش ، إلى أن تزوج حسن سنة ٦١٧ هـ . ثم تزوج محمد سنة ٦٢٦ هـ .

وفى سنة ٦٢٧ هـ مات رب الأسرة على بن ابراهيم ، ودفن بالمعلاة (٣) بمكة . ثم مات محمد سنة ٦٣١ هـ ، ودفن بجانب والده . وبذلك تفككت أوصال هذه الأسرة ، وكان لتفككها أثر عميق فى حياة البدوى ، أصغر أفرادها ، كما سنبينه فى الفصل التالى . . .

---

(١) علم الدين : ج ١ ص ١٣٥

(٢) راجع ثبت حكام الايوبيين بمصر بآخر الكتاب

(٣) مقبرة مكة .

الفصل الثالث

تربية البدوى

١ - تربيته بالمغرب :

استقرت أسرة البدوى بالحجاز ولما يتم ثلاثة عشر ربيعاً ، إذا جعلنا تاريخ وصول الأسرة إلى مكة سنة ٦٠٩ هـ . فهو إذاً فى مقتبل العمر ، صالح لتقبل ما يلقى عليه من تعاليم ، درس بعضها عند ما كان ببلاد المغرب . حيث تربى تربية دينية على عادة أبناء الأشراف فى ذلك العصر . فحفظ القرآن ، وتعلم القراءات . وتفقه فى الدين على مذهب الإمام مالك . ومال إلى الزهد منذ صغره ؛ حتى اشتهر بين قومه بالشيخ أحمد الزاهد .

ولما كان أخوه حسن من الصوفية ، فقد أعده ليكون مثله ، فأشرف على تعليمه وألبسه خرقة التصوف على يد الشيخ عبد الجليل النيسابورى بفاس .

* * *

٢ - تربيته بمكة :

ولما انتقل إلى مكة - كما أسلفنا - أتم دراسته على مذهب الشافعى ، تلميذ مالك ، وظل شافعيا حتى مات ، وقد ساعدته طبيعة بلاد الحجاز ، وما ظهر فيها من الميل إلى التصوف والزهد منذ عهد « الفُضَيل بن

عياض (١) ، المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، على إشباع رغبته فى التصوف ؛ فمال إلى العبادة والزهد . وكان يتعبد فى جبل أبي قبيس قرب مكة ، كما أنه انصرف عن الزواج . ولعله ساير أحمد الرفاعى (٢) فى ذلك ، فأخذا نفسيهما « بالحكمة العملية التى ترمى إلى التحرر من الألم والوهم . وذلك بالتجرد عن الشخصية الظاهرة الحادثة ، التى يخلقها فى الانسان التصديق بالجزئيات ، وذلك برياضات عديدة ، أدناها رياضات الفقراء ، وأرقاها التأمل والاستغراق (٣) » .

وهذا ما دعا مؤلفى دائرة المعارف الاسلامية إلى تشبيه تصوف البدوى بتصوف فقراء الهنود ، ولا سيما فرق « اليوجا الهندية (٤) » .

وقد تكون الرغبة عن الزواج عادة اجتماعية انتشرت بين الناس فى تلك العصور ، نتيجة للانحلال الاجتماعى والاقتصادى الذى يقترن عادة بعصور التأخر والاضمحلال .

وقد امتاز القرن السابع الهجرى ، الذى عاش فيه البدوى بأحداث تاريخية جسيمة كان لها أثرها العميق فى النفوس ، كسقوط بغداد فى أيدى التتار سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، وتعرض مصر لهجمات الصليبيين بصفة

---

(١) راجع فجر الاسلام : ج ١ ص ٢٠٩ وضحى الاسلام : ج ٢ ص ٧٣

(٢) هو أبو العباس أحمد بن الرفاعى ، نسبة الي بني رفاعة ، من العرب ، سكن بقرية « أم عبيدة » بأرض البطائح ، جنوبي العراق ، وقد كان فقيها شافعى المذهب انضم اليه خلق كثير من الفقراء وأحسنوا الاعتقاد فيه وعرف أتباعه بالرفاعية والبطائحية ، توفى سنة ٥٧٠ هـ . (راجع وفيات الاعيان : ج ١ ص ٥٥ والطبقات : ج ١ ص ١٨٧)

(٣) مقتبسة من مقدمة (دروس فى الفلسفة) .

(٤) المجلد الاول : ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

مباشرة ، طيلة حكم الأيوبيين ، وكذلك اضطربت أحوال المغرب والشام وغيرهما من أجزاء الدولة الإسلامية :

* * *

٣ ـ حالته بمكة :

وبعد أن تفككت أسرة البدوى بمكة تغيرت أحواله ، فمال إلى العزلة ، والتعبد ، والصمت . وتصف دائرة المعارف الاسلامية ذلك فتقول (١) :

« ولا بد أنه حدث له حوالى سنة ٦٢٧ هـ (٢) ما غير مجرى حياته ، فقد قرأ القرآن بالأحرف السبعة ، ودرس قليلا من الفقه الشافعى ، وعكف على العبادة وامتنع عن الزواج .... واعتزل الناس وعاش فى صمت لا يفصح عما يجول فى نفسه إلا إشارة ، وأصبح فى حالة وَلهٍ دائم (٣) » .

* * *

٤ ـ صفاته الجثمانية ودلالاتها :

ولما كان البدوى قد نشأ نشأته الأولى بين القبائل العربية ببلاد المغرب ، من المرابطين الملثمين ، فقد تأثر أحمد بكثير من عاداتهم ، كوضع اللثام على وجهه ، وميله إلى الشجاعة والجرأة ، وحبه المخاطرة والترحال ، وتحليه بكل ما من شأنه أن يكسبه الفتوة الحقة بين أنداده ، وبخاصة بعد أن استقرت

---

(١) المجلد الاول : ص ٤٦٥ . (٢) تلك هى السنة التى مات فيها أبوه .

(٣) الوله : فرط الوجد في اصطلاح الصوفية .

أسرته بمكة ، فقد اشتهر بصفات جثمانيـة وألقاب صوفيـة لازمته ما عاش . وكان لها أثرها فى نشأته وتاريخه .

ويذكر الرواة صفات البدوى الجسمية بأساليب مختلفة ، ولـكنها متفقة فى تفاصيلهـا . وها نحن أولاء نورد هنا صورة موجـزة لما روته عنها دائرة المعارف الاسلامية (١) :

« كان البدوى ضخماً ، قوياً ، قمحى اللون ، أقنى الأنف ، عليه شـامتان ، ويظهر بوجهه أثر ثلاث حبات من الجدرى ، وندبة بين عينيه من طعنة موسى »

واليكم صورة أخرى لهذه الصفات رواها الشعرانى (٢) :

« كان غليظ الساقين ، طويل الذراعين ، كبير الوجه ، أكـحل العينـين ، طويل القامة . قمحى اللون وكان فى وجهه ثلاث نقط من أثر جـدرى ؛ فى خده الأيمن واحدة . وفى الأيسر ثنتان . أقنى الأنف على أنفه شامتان فى كل ناحية شامة سوداء أصغر من العدسة . وكان بين عينيه جرح موسى . جرحه ولد أخيه الحسين بالأبطح حين كان بمكة »

وتدل هذه الصفات على أن البدوى من أصل عربى خالطته عناصر بربرية من المغرب الأقصى . فبدت مظاهر هذا الاختلاط الجنسى فى لونه . وملامح وجهه . كما تدل على أنه لم يلجأ إلى الصيام والقيـام . والتعبد ليل نهار إلا بعد أن تم نموه وكمل جسمه ، على الرغم من ميله إلى التصوف منذ نعومة أظفاره .

أما ألقاب السيد البدوى الصوفية فسنعالجها فى موضوع خاص من هذا البحث لما لها من عظيم الأهمية فى تاريخه .

---

(١) المجلد الاول : ص ٤٦٦ .   (٢) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٧

الفصل الرابع

رحلة البدوى إلى العراق

١ - العراق مركز التشيع والتصوف :

شغل البدوى بالتصوف فى أثناء إقامته بمكة ، وزاد ميله إلى العبادة ، وتغيرت أحواله - كما مر بنا - بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ م) ، ثم أخيه محمد سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣ م) .

ولقد شغل كذلك بتعاليم زعيمين من أشهر زعماء المتصوفة بالعراق فى القرن السادس الهجرى وهما : أحمد الرفاعى ، وعبد القادر الجيلانى(١) اللذان كانا موضع احترام الناس منذ عدة أجيال .

وقد بلغ شغف أحمد بهما وبتعاليمهما أنه رآهما كما يرى النائم غير مرة ، يدعوانه إلى زيارة العراق ، ويطلبان اليه أن يتزعم المتصوفة بين ظهرانيهما ، بعد أن أعد نفسه للقطبية ، والزعامة الصوفية ، منذ هبطت أسرته أرض الحجاز .

---

(١) هو أبو صالح عبد القادر الجيلى أو الجيلانى أو الكيلاني (نسبة الى بلاد جيلان قرب بحر قزوين) وهو من نسل على بن أبي طالب ولد سنة ٤٧٠ هـ وتوفى سنة ٥٦١ هـ (١١٦٦م) وتنسب اليه الطريقة القادرية ببغداد . وهو والرفاعي تلميذا الغزالى وكتاب (الغنية) - أحد مراجع بحثنا - من أعظم ما كتب الجيلانى وهو ملخص (لاحياء) الغزالي . (راجع الطبقات : ج ١ ص ١٦٨ - ١٧٧ ومقدمة كتاب « الغنية لطالبي الحق عز وجل »)

وقد عرض البدوى رؤاه على أخيه الأكبر «حسن» فأجابه بقوله :

«إنى أخاف عليك يا أخى من بلاد العراق ، فإنها برزخ الاولياء ، وبلاد الصالحين (١) » .

والحقيقة ، أن العراق - كما ينبئنا التاريخ - كان مصدر كثير من الآراء المختلفة . والمذاهب المتشعبة . وخاصة ما يتصل منها بالتشيع والتصوف .

أما التشيع فقد تأثر بتعاليم فلاسفة الفرس الأقدمين . وارتبط بنظرية «الحق المقدس للملوك(٢)» تلك النظرية السياسية التى نشأت عنها فكرة ألوهية على بن أبى طالب ، وتقديس زعماء الشيعة ، كما تأثر بها مركز الخلفاء العباسيين فى الحكم إلى حد كبير .

ولقد تطورت مبادىء الشيعة وعقائدهم تطوراً انتهى بظهور آراء واتجاهات عظيمة الخطر فى الاسلام ، فظهرت نظرية «المهدى المنتظر» ونظرية «الوصاية أو الرجعية» للإمام ؛ وتناسخ الأرواح ، وغيرها من النظريات التى انتقلت إلى الإسلام عن المدنيات الشرقية القديمة ، فكان العراق مهد هذا التحول .

أما التصوف فقد تأثر - إلى حد ما - بآراء الاشراقيين وعقائدهم التى ظهرت منذ فجر الدين المسيحى كالميل إلى الزهد ، والاعراض عن الدنيا ، والبعد عن كل لذة بدنية ، وتحريم ملكية الأشياء ، والامتناع عن الزواج

---

(١) الجواهر: ص ٣٠ والنفحات : ص ٢٣٩

(٢) كان فراعنة مصر وأباطرة الروم وأكاسرة الفرس يعتمدون فى حكم شعوبهم على هذه النظرية فكان لهم من التقديس والاحترام مارفعهم الى مصاف الآلهة فى كثير من الاحيان وقد تلاشت هذه النظرية ، أو كادت ، فى العصر الحاضر بسبب سيادة الانظمة الديمقراطية .

إلى غير ذلك من المبادىء التى كان لها خطرها وأثرها فى العقل الاسلامى فى العصور المتأخرة (١) .

ولم يكن التصوف بمعزل عما طرأ على التشيع من نظريات واتجاهات ، بل تأثر بها إلى حد كبير ، فنظرية « القطب » عند المتصوفة هى بعينها نظرية « المهدى » عند الشيعة . وقد نسب الصوفية إلى القطب العلم والعصمة من الخطأ كما نسبهما الشيعة إلى الإمام .

كذلك عنى المتصوفة بعلمى الظاهر والباطن ، والتأويل والتقية - كما كان يفعل الشيعة - أما ما كان يتصف به أئمة الشيعة من القدرة على الإخبار بالغيب ، والاطلاع على ماوراء الحجب ، فقد عبر عنه المتصوفة بالكرامات . وكذلك ساير المتصوفة الشيعيين فى تقديس الأئمة ؛ فقدسوا الأولياء ، ونسبوا اليهم من القوة والقدرة ما مرده إلى الله وحده (٢) .

وقد بقيت آثار تلك المذاهب والأفكار على مر الأيام ، شاهدة بما كان لمذهبي الشيعة والمتصوفة من أزدهار بالعراق فى العصور الاسلامية المتتابعة فلا تزال به قبور ومساجد كثيرة بعضها خاص بالشيعة من نسل على بن أبى طالب ، وبعضها لفريق من المتصوفة ، الذين اشتهر أمرهم فى عصور مختلفة كأبى الحسن البصرى ، الذى سطع نجمه فى البصرة ، واهتدى بهديه الكثيرون (٣) .

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتاب (السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات) لفان فلوتن : ص ٦٨ - ١٠٦ — النسخة المعربة .

(٢) راجع تفصيل ذلك في كتاب (ضحى الاسلام : ص ٢٠٨ - ٣١٥) .

(٣) راجع كتاب (دروس في الفلسفة) ص ٧٢ .

وعلى مقربة من البصرة إقليم البطائح ، مقر الطريقة الرفاعية ، وفى بغداد عاش عبد القادر الجيلانى شيخ الطريقة القادرية . وفى شمال العراق سادت الطريقة العدوية بزعامة « عدى بن مسافر (١) » الهكارى الأموى .

* * *

٢ - وقت الرحلة :

لذلك كان « حسن » أخو أحمد محقاً عندما حذر أخاه ونهاه عن السفر إلى العراق . ولكن أحمد أصر على الترحل . فأشفق عليه أخوه ورافقه فى بدء رحلته .

بدأ الأخوان رحلتهما فى العاشر من المحرم سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٧ م) . وانتهى بهما المطاف إلى بغداد فى ربيع الأول من نفس السنة وكان ذلك فى عهد الخليفة العباسى « المستنصر بالله » الملقب بأبى جعفر المنصور (٦٢٣ - ٦٤٠ هـ) وهو والد « المستعصم » آخر الخلفاء العباسيين ببغداد .

ويختلف الرواة اختلافاً بيناً فى تحديد موعد بدء هذه الرحلة . غير أنى أخذت هنا برأى الشيخ عبد الصمد باعتباره من أوائل الباحثين فى تاريخ البدوى وقد أفرد لهذه الرحلة فى كتابه « الجواهر » باباً خاصاً شمل موضوعها بأكمله . وأيده الخفاجى فيما ذهب اليه وقد رجع كلاهما إلى مانقله ابن أزبك عن البدوى نفسه (٢)

---

(١) ليس من المبالغة أن نقرر أن أمثال هؤلاء الاقطاب الصوفيين لم تكن لهم أغراض سياسية ، والا كان علينا أن ننكر التصوف كلية .

(٢) الجواهر : ص ٣٠ وما بعدها والنفحات : ص ٢٣٨ وما بعدها .

٣ - الجهات التى شملتها الرحلة :

وإذا أردنا أن نتتبع الطريق الذى سلكه أحمد وأخوه حسن ، وجدنا أنهما نزلا ببغداد بادىء ذى بدء . وزارا بها قبور الحلاج والجيلانى والرفاعى ثم قصدا « الكاظمية » إحدى البلدان العراقية المقدسة التى يسميها ياقوت الحموى « مقابر قريش (١) » ، وبها إلى اليوم بقعة تسمى « صحن قريش » ، وتقع هذه البلدة الجميلة على نهر دجلة شمالى بغداد بقليل . وبها دفن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق المتوفى سنة ١٨٣ هـ . وقد نسبت اليه .

وفى سنة ٢٢٠ هـ دفن بها أيضاً « محمد الجواد » حفيد الكاظم ، ويكوّن القبران مشهداً عظيماً من مشاهد الكاظمية يقصد اليه الزائرون من أقصى المعمورة للتبرك (٢) .

وما لبث الأخوان أن غيرا وجهتهما إلى جنوبى العراق ، معرجين على وادى « قوسان » الذى يقع بين بلدة « كوت » على نهر دجلة وبين « بَدره » (٣) على مقربة من نهاية هذا الوادى ، الذى يصفه ياقوت بأنه بين « النعمانية » و « واسط » (الحى الآن) (٤) . وبهذا الوادى اليوم بلدة « جُصان » وهى تحمل اسمه القديم مع تغيير يسير فى اللفظ (٥) .

---

(١) معجم البلدان : ج ٨ ص ١٠٧ (٢) موجز تاريخ البلدان العراقية : ص ٤٨

(٣) راجع خريطة البلدان العراقية لمعرفة الاسماء التى سيرد ذكرها في اثناء الرحلة

(٤) معجم البلدان : ج ٧ ص ١٨٢

(٥) فقد قلبت القاف جيما على عادة بعض العرب في النطق واستعملت الصاد بدل السين وهو أمر تجيزه اللغة .



المدن العراقية
بين
الماضي والحاضر
العمادية
عقرة
باعذرى
راوندوز
تلعفر
الموصل
بلد سنجار
اربل
نهر الزاب الاعلى
نهر الزاب الاسفل
كركوك
سليمانيه
همذان
تكريت
سامراء
كرمنشاه
بلد
شهرمان
مندلى
يعقوبيه
الكاظمية
فلوجيه
الرمادى
بغداد
زربابيطة
بدره
العزيزيه
جصان
كوت
كربلاء
مسيب
الحله
النعمانيه
على الغربي
على الشرقي
الكوفه
الحى (واسط)
الديوانيه
النجف
العماره
العراق
قلعة صالح
شطره
اهواز
سماوه
الناصريه
المدينه
القرنه
البطيحة
جبايش
سوق الشيوخ
محمره
البصره
فاو
الخليج الفارسي

وفى هذا الوادى بين « بدره » و « جصان » قبر على اليثربى بن موسى بن جعفر - كما يقال - ويسميه البدوى وأخوه « أبا الوفا » ، وقد يكون هذا صحيحاً إذا علمنا أن المتخاصمين يلجأون إلى هذا الشيخ لتصفية مابينهم من نزاع عند قبره . ويعتبر « اليثربى » من أشهر الأولياء والصالحين بتلك الجهة حتى الآن (١)

وأرجح أن يكون هذا الشيخ هو تاج العارفين أبو الوفاء ، الذى اشتهر أمره بين متصوفة العراق فى أوائل القرن السادس الهجرى ، وامتدحه الجيلانى وترجم له الشعرانى (٢) .

ثم اتجه البدوى بعد ذلك بصحبة أخيه إلى « أم عبيدة » ، مركز الطريقة الرفاعية (٣) ، وهى إحدى قرى البطائح (٤) التى يصفها ابن خلكان بأنها « قرى مجتمعة بين واسط والبصرة ، ولها شهرة بالعراق » (٥)

فى هذه البطائح أقام الأخوان أياماً بقرية (أم عبيدة) التى يرجح أن

---

(١) موجز تاريخ البلدان العراقيه : ص ١٤٢ ، ١٤٣

(٢) الطبقات : ج ١ ص ١٧٩

(٣) الجواهر : ص ٣٣ والنفحات : ص ٢٤٥

(٤) البطائح لغة : جمع بطيحة ، وهي مجتمع سيب الماء وفى جنوب العراق اليوم بطائح كثيرة . يرجع سبب وجودها الي فيضان دجله والفرات عند اقترانهما بشط العرب . والدور فى تلك الجهات قائمة فوق جزر صغيرة وسط المياه وقلما اجتمع خمسة منازل فوق جزيرة واحدة ولكل منزل زورق صغير يجول به صاحبه أنى شاء . ويقع الجزء الشرقى من البطائح فى لواء البصرة ، ويقع الجزء الغربي منها فى لواء المنتفق . (راجع خريطة البلدان العراقية وموجز تاريخ البلدان العراقية : ص ١١٧)

(٥) الوفيات : ج ١ ص ٥٥

مكانها الآن ناحية المُدَينة فى قضاء القُرنة من لواء البصرة (١) .

وعند عودة البدوى وأخيه من البطائح إلى بغداد ، تركه أخوه واتجه إلى مكة ، أما البدوى فقد واصل رحلته إلى شمال العراق ، حيث زار قبر « عدىّ ابن مسافر الهكارى » (٢) المتوفى سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م) ، وهو الآن فى بلدة « باعذرى » بلواء الموصل .

وعدىّ بن مسافر هو صاحب الطريقة العدوية ، وقبره الآن فى وادٍ جميل ، وعلى مقربة منه تقع بلدة (عين سفنى) مقر سدنة هذا القبر .

وبالقرب من قبر عدى ، ناحية العشائر السبع ، ومن بينها عشيرة (بَرِّى) التى قد تنتسب إليها (فاطمة بنت برِّى) ، ولها قصة مع البدوى ذكرها بعض الرواة (٣) .

---

(١) تنقسم العراق اداريا الى أقسام رئيسية يعرف كل منها باسم لواء ، وفى كل لواء عدة أقضية ، ولكل قضاء عدة نواح .

(٢) هو من أشهر أصحاب الجيلاني وقد انقطع الى جبل هكار من أعمال الموصل ، وبني له هناك زاوية ، وتبعه خلق كثير. واجتمع حوله – فيما بعد – جماعة « اليزيدية » ولهم عقائد غريبة ، فهم من أنصار نظرية السفياني ، الذين يعتقدون أن يزيد بن معاوية الثاني سيعود يوما ليملأ الدنيا عدلا بعد أن ملئت جوراً ، كما يعتقد الشيعة في المهدي . (راجع الوفيات : ج ١ ص ٣١٦ ، الطبقات : ج ١ ص ١٨٣ ، دائرة المعارف الاسلامية – المجلد الاول : ص ٤٦٦ ، موجز تاريخ البلدان العراقية : ص ١٧١) .

(٣) تتلخص هذه القصة في أن البدوى رآى فى منامه ، عند ما كان بأرض البطائح ، أن الرفاعي يأمره بالسير الي فاطمة بنت بري ليردها عن اغراء المتصوفين وسلب أحوالهم بما وهبها الله من فرط الجمال وعظم السلطان . فذهب اليها البدوي وكانت هى الاخرى قد رأت في منامها أن شخصاً سيحضر اليها ليسلبها قوتها ، فأرصدت له فى الطريق من تقابله من بناتها اللائي اجتمعن حولها . وما كاد البدوي ينزل بارضها حتى بدا كأنه أصم =

٤ - نهاية الرحلة وأثرها فى حياة البدوى :

وأخيراً عاد البدوى إلى الحجاز سنة ٦٣٥ ﻫ (١٢٣٨م) - على الأرجح - وكان لهذه الرحلة أثرها فى حياته ، فقد زاد عليه مظهر الوله ، وعظم ميله إلى العبادة والزهد ، وأكثر ماعرف عنه من زيادة الورع والتقوى كان بعد هذه الزيارة ، فقد مال إلى الصمت ، وكان يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويكثر من قراءة القرآن الكريم .

ثم اتجه تفكيره إلى الترحل إلى جهة أخرى يتخذها مقراً ومقاما ، إذ كانت الرحلات جزءاً من برامج رجال العلم والدين ، ولعله رأى أن مصر - كنانة الله فى أرضه - خير مستقر له ، لأنه كان قد مر بها فى صباه ، واتخذ له فيها رفاقا كان له معهم شأن أيما شأن .

****

= وأبكم ، فزاد ذلك في جزع بنت برى وأمرته أن يرعي لها الابل فرعاها ستة أيام . وفى اليوم السابع ماتت الابل جميعها ، فهرعت بنت برى الى مرعي الابل حيث دارت معركة بين أنصار البدوي وأعوان فاطمة ، كان النصر فيها حليف البدوى . فاستسلمت بنت برى لاحمد وطلبت منه أن يعفو عنها . فعفا عنها بشرط ألا تعود الي التعرض للمتصوفة بسوء . ثم رغبت فاطمة في الزواج من البدوي ولكنه رفض وعاد الى مكة مقر أسرته . (راجع تفصيل هذه القصة في الجواهر . ص ٣٤ - ٣٩ ، وبالنفحات : ص ٢٤٥) .

الفصل الخامس

رحلة البدوى إلى مصر

---

١ - نصيب مصر من مركزى التشيع والتصوف :

صارت مصر منذ دخول العرب إليها ، فى القرن الأول الهجرى ، مركزاً علمياً فى الدوله الإسلامية - كما هى مركز سياسى - ولكن الحركة العلمية فى بدء عهدها ، لم تكن فلسفية ولا دنيوية ، بل كانت كل عنايتها موجهة إلى الدين ؛ الذى تأثر على مر الأيام بالثقافة اليونانية والرومانية ، التى كانت سائدة قبل الفتح العربى ، وقد أدى ذلك إلى أن اصطبغت هذه الثقافة القديمة بالتعاليم الإسلامية ، وعُدلت كما يتفق والإسلام(١) .

وكانت الشيعة والمتصوفة أكثر الفرق الإسلامية تأثراً بهذا الاختلاط فى مصر - كما حدث بالعراق - وبخاصة فى العصر الفاطمى ، إذ ما كاد ينتقل المعز لدين الله إلى قاهرته المعزية سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٣ م) ، حتى عنى بنشر الدعوة الفاطمية عناية كبيرة ، تلك الدعوة القائمة على خطوات تسع ، أشبه بتاسوعات أفلوطين ، الفيلسوف المصرى فى العصر المسيحى(٢) . وقد شرح المقريزى

---

(١) فجر الاسلام : ج ١ ص ٢٣٣ .

(٢) عاش أفلوطين بين سنتى ٢٠٥ و ٢٧٠ م .

تفصيل خطوات الدعوة الفاطمية ، ونقلها عنه كثير من كتاب العصر الحاضر (١)

وقد نظم الفاطميون شئون هذه الدعوة ، وجعلوا لها رئيساً عرف باسم « داعى الدعاة » وكان يلى قاضى القضاة فى المرتبة ، ويتزيى بزيّه ، ويشرف على إعداد الدعاة ، وتدريب الأولياء والأنصـــار ، الذين كان يوكل إليهم نشر الدعوة الفاطمية فى أرجاء البلاد المصرية (٢) .

ومن أجل ذلك كان لانتشار تلك الدعوة فى مصر ، أكبر الأثر فى نجاح نوع من التصوف السياسى ، حمل لواءه جماعة من دعاة الدولة الفاطمية وأنصارها بل من أوليائها ، كما يسميهم ابن خلدون عند إشارته إلى شيعة الفواطم وأتباعهم بمصر والمغرب(٣) . ولعل ذلك هو السر فى كثرة الأوليـاء بمصر منـذ العهد الفاطمى ، وهم ـ أصلا ـ أنصار الدولة ودعاتها فى البلاد(٤) .

ولما قضى صلاح الدين الأيوبى على الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١م) انتفع بنفوذ هؤلاء الأولياء فى نشر المذهب السنى بدلا من العقائد الشيـعية ، ليقيم دولته على أساس وطيد ، ويحارب أعداءه بنفس الوسيلة مع اختلاف الغاية .

وقد بنى صلاح الدين لهؤلاء الأولياء الخوانق والرُبط (٥) . والمدارس

---

(١) المواعظ والاعتبار : ج ٢ ص ٢٢٦ . (٢) صبح الاعشى : ج ٣ ص ٢٨٧

(٣) مقدمة ابن خلدون : ص ١٩ - ٢٠ . (٤) الولي لغة : من الولى . وهو القرب والدنو . والولى أيضا المحب والصديق والنصير . (القاموس المحيط : ج ٤ ص ٤٠١)

(٥) الخوانق : جمع خانق وهو الزقاق أو الطريق الضيق . والربط : جمع رباط وهو مكان انتظار الصلاة بعـد الصلاة . وفي ذلك يقول النبي (صلعم) « فذلـكم الرباط » ويشبه الخلوة الملحقة ببعض المساجد الآن .

والزوايا ، ووقف عليها المال والغلال ، لتقوم برسالتهـــا على أكمل وجه ، ويصف ذلك القلقشندى فيقول :

« وأما الخوانق والرُبط ، فمما لم يعهد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبية ، وكان المبتكر لها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب(١) » .

وبذلك انتشر التصوف السنى بمصر ، واعتنقه كثير من الشيعة فى عهد الدولة الأيوبية ، وفى مقدمتهم السيد احمد البدوى نفسه ، كما سيظهر لنا عند الكلام عن درجته العلمية ، وقدرته الروحية .

إلا أن السياسة التى اتبعهـــا صلاح الدين للتخلص من المذهب الشيعى وأنصاره بمصر ، لم تقض القضاء التام على الشيعيين ، بل بقيت لهم « نقابة الطالبيين (٢) » نسبة إلى على بن أبى طالب وهى تلك الهيئة الرسمية التى أنشأها خلفاء الفواطم خاصة للنظر فى شئون العلويين والمنتسبين إلى آل البيت ، وقد عرفت هذه النقابة فى العصور الحديثة بنقابة الأشراف التى لا تزال قائمة إلى يومنا ، ويعرف رئيسها باسم نقيب الأشراف ، وهو الآن السيد محمد على الببلاوى .

ولما انتقل الحكم إلى المماليك البحرية ، بعد سقوط الدولة الأيوبيـة ، سار حكامهم على نهج الأيوبيين ، فأنشئوا المدارس لتدريس مختلف العلوم ، والمذاهب الدينية والفلسفية ، وبخاصـة التصوف ، الذى كثرة معتنقوه كثرة استرعت الأبصار ، فقد مال الناس إلى العزلة والاعتكاف حتى لا يتعرضوا لظلم الحكام وعسفهم ، وزاد نفوذ الأولياء بينهم عند ما انصرف السلاطين إلى الحروب والمنازعات الداخلية والخارجية ، ولم تعد تربطهم بهذه الطبقات

---

(١) صبح الاعشى : ج ٣ ص ٣٦٢ (٢) الحاكم بأمر الله : ص ٢١٦

إلا روابط روحية ، تختلف قوة وضعفاً على حسب تقوى الحاكم وورعه وقد ساعد ذلك على توثيق العلاقة بين أفراد الشعب والأولياء ، الذين صار لهم فى نفوسهم من المحبة والولاء ماليس للملوك والأمراء .

وقد وصف هذه الحالة «عفيف الدين اليافعى» (١) أحد متصوفة مصر فى القرن الثامن الهجرى ، فقال :

أخى نحن - والله - الملوك بفقرنا لنا الملك فى الدارين والعز والغنى
نولى ونعزل والملوك جميعهم لنا خدم والذل يجزون والعنا .

ويدل ذلك بوضوح على مقدار ما طرأ من التحول على مركز الأولياء بمصر فى القرن السابع الهجرى ، فقد انعدمت صبغتهم السياسية ، وظهرت قواهم الروحية ، والتف حولهم الأتباع والأنصار وعطف عليهم الملوك والحكام عطفاً ظهرت آثاره فى زيارتهم لهم والتبرك بهم ، فضلا عن إنشاء المدارس والمساجد والخوانق لاتباعهم ، وحبس الأوقاف عليها بسخاء عظيم. وقد أفاض المقريزى فى وصف هذه المدارس والمساجد وأشار إلى منشئيها والأماكن التى انشئت فيها (٢) .

****

٢ - وقت الزهو :

وفى أثناء هذا التطور فى تاريخ التصوف فى الديار المصرية ، ولى البدوى وجهه شطرها ونزل طندتا عاصمة إقليم الطندتاوية (٣) فى الرابع عشر من ربيع

(١) التصوف الاسلامي: ج ١ ص ٢٣٥ (٢) المواعظ والاعتبار: ج ٤ ص ١٣٦ ومابعدها

(٣) راجع خريطة النشأة التاريخية لمدينة طنطا بهذا الكتاب

الأول سنة ٦٣٧ ﻫ (١٢٤٠ م) ، كما روى عبد الصمد والخفاجى ، نقلا عن المقريزى (١) ، وقد أخذ عنهم على مبارك (٢) والظواهرى (٣) .

وكانت رحلة البدوى إلى طندتا (طنطا) نتيجة لرؤيا رآها فى منامه ثلاث مرات أمر فى أثنائها « أن سر إلى طندتا ، فانك تقيم بها وتربى رجالا وأبطالا (٤) » .

ولهذه الرؤيا قيمة تاريخية عظيمة ، إذ أنه لابد أن يكون البدوى قد مر بطنطا فى أثناء رحلة أسرته من المغرب إلى الحجاز ، وشغف بها خياله ، فرددها عقله الباطن فى عالم الأحلام طبقاً لمبادىء علم النفس الحديث .

على أن شهرة البدوى سبقته إلى طنطا ، فقد بَشر الشيخ سالم المغربى بحضوره إليها ، وبرغبته فى الاستقرار بها ، ولعل البدوى قد اتصل ببعض مريديه ليمهد له حياة هنيئة بطنطا فتسرب الخبر إلى الشيخ سالم فأنبأ به (٥)

وكان الجالس على عرش مصر فى ذلك العهد الملك « العادل » ابن الكامل الأيوبى (العادل الثانى) . وهو شاب شغل عن شئون الملك بملاذه وشهواته فعزل فى ذى القعدة من السنة نفسها التى حل فيها البدوى بمصر (سنة ٦٣٧ﻫ) وتولى بعده أخوه الملك « الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل » (٦٣٧ - ٦٤٧ ﻫ)(٦)

---

(١) الجواهر : ص ٥ والنفحات ص ٥٢

(٢) الخطط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٩ وعلم الدين : ج ١ ص ١٣٥

(٣) مذكرته عن « ذكرى تشريف الخديو عباس حلمى للجامع والمعهد الاحمدى » .

(٤) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٦ .

(٥) لا يزال قبر الشيخ سالم قائما الى الآن قرب مسجد البدوي بطنطا .

(٦) راجع ثبت حكام الايوبيين بآخر الكتاب .

٣ ـ الاماكن التى عاش بها البدوى فى طنطا :

نزل البدوى بطندتا (طنطا) ، وهى قرية قديمة عرفت قبل الفتح الاسلامى باسم « طنتثنا » ، ثم حرف هذا الاسم بعد الفتح العربى فصار « طندتا » .

وفى القرن الخامس الهجرى عنى الفاطميون بها عناية كبيرة ، فاتخذوها عاصمة لأحد أقاليم مصر السفلى الاثنين والعشرين التى قسمت إليها الدلتا فى عهد الخليفة المستنصر (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) ، وعرف إقليمها باسم الطندتاوية . ثم عرفت طندتا فى عهد المماليك البحرية باسم « طنتُ » ، وكانت إحدى قرى الغربية ، إحدى أقاليم الدلتا الأحد عشر .

وفى عهد الحملة الفرنسية عرفت باسم (طنط) وكانت تابعة لإقليم المنوفية ثم اشتهرت باسم (طنطا) وعادت إلى إقليم الغربية فى عهد محمد على باشا ، وصارت عاصمة لأحد أقسام الغربية . وفى سنة ١٨٣٦ م صارت طنطا عاصمة لأقليم الغربية ، وكان عباس باشا حفيد محمد على الكبير ، أول مدير لها ، وقد أخذت المدينة فى الاتساع وعظمت أهميتها بعد أن مر بها الخط الحديدى بين القاهرة والاسكندرية (١)

ولقد عظم شأن طندتا (طنطا) بعد نزول البدوى بها ، فصارت مهبط المريدين والمتصوفة من أتباعه وأنصاره ، كما أفادت كثيراً من موالده وزائريه .

وأول دار نزل بها البدوى بطندتا دار الشيخ ركن الدين (رُكين) ، الذى كان يتجر فى العسل والزيت والحبوب فى خانوت له بابان ، أحدهما خاص

---

(١) راجع خريطة النشأة التاريخية لمدينة طنطا .

بالبيع والآخر متصل بمنزله ، وقد قضى البدوى فى هذا المنزل نحو اثنتى عشرة سنة ، نال الشيخ ركن الدين فى أثنائها خير عميم .

وأول هذا الخير ، أن أشار البدوى على ركين بشراء قمح كثير ليبيعه للفقراء بثمن لا يرهقهم فى أثناء الغلاء الذى سيقع فى المستقبل القريب - وكان ذلك بعد نزول البدوى بمنزله بزمن يسير - فصدع ركين بالأمر ، واشترى القمح ، وربح من بيعه ربحاً عظيما ساعده على أداء فريضة الحج (١) .

ويصف المقريزى هذا الغلاء بين حوادث سنة ٦٣٩ هـ - أى بعد وصول البدوى إلى طندتا بسنتين - فيقول :

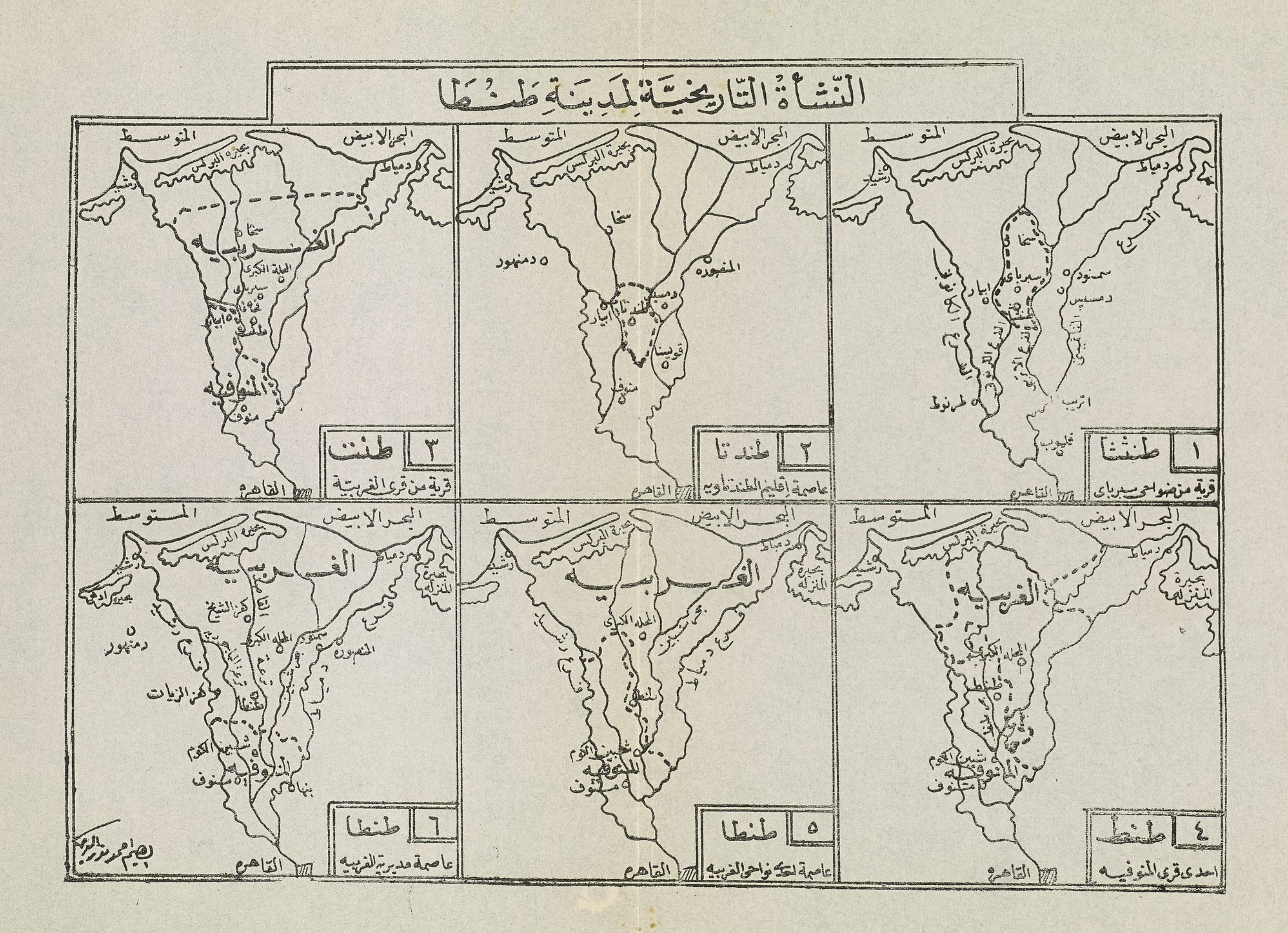
« غلت الأسعار بمصر ، وبيع القمح ، كل أردب بدينارين ونصف(٢) » .

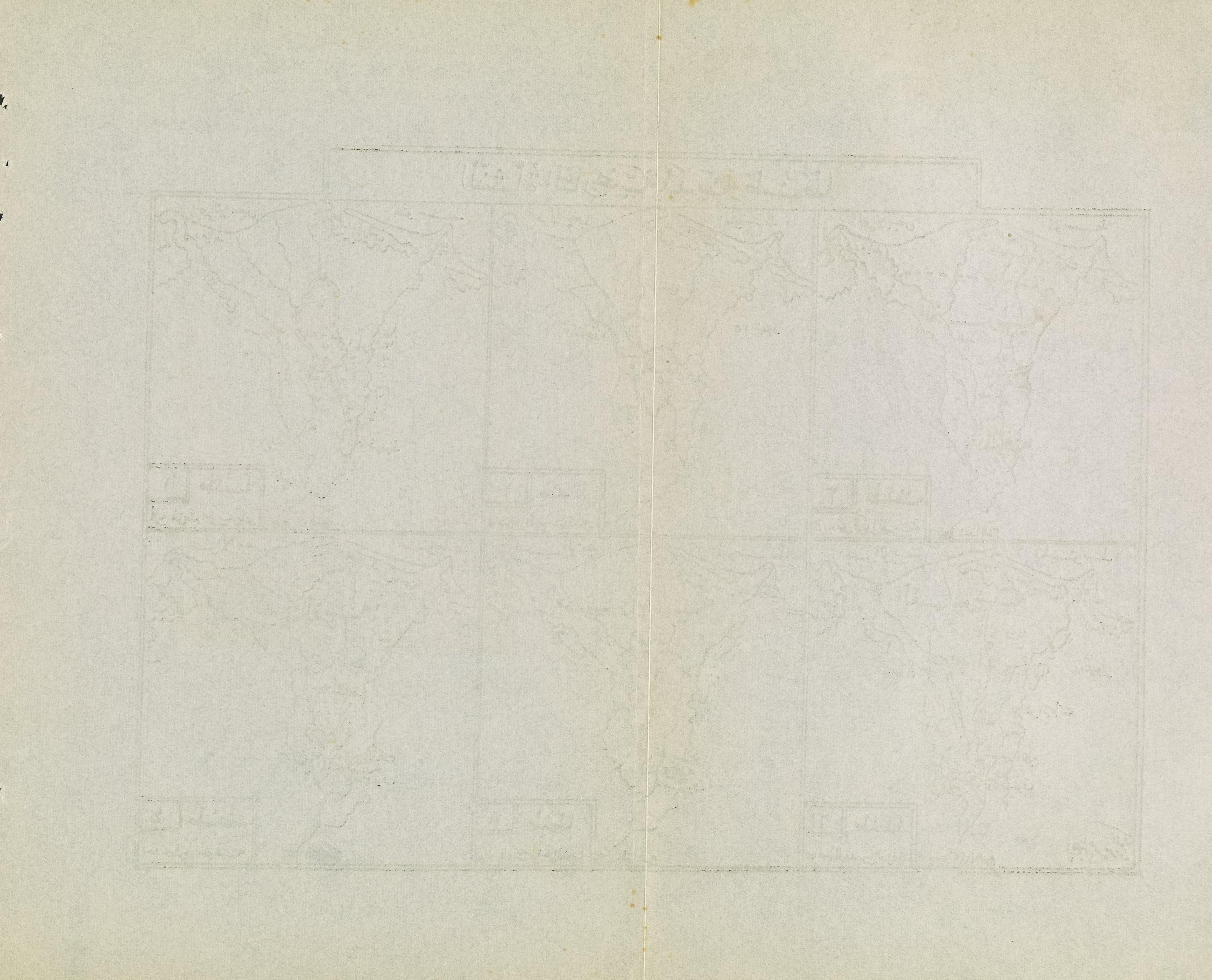
وإذا علمنا أن الدينار الواحد ، فى بعض أزمنة الرخاء فى تلك العصور ، كان يشترى به أكثر من أردبين أحياناً ، أدركنا أثر هذا الغلاء بين الناس وعرفنا مقدار ما أسداه البدوى وركين من حسن الصنيع للفقراء فى تلك الظروف العصيبة ، كما توضح لنا هذه العبارة أن حضور البدوى إلى طندتا كان حتما قبيل سنة ٦٣٩ هـ بسنة أو بسنتين على الأكثر ، كما ذكرنا من قبل .

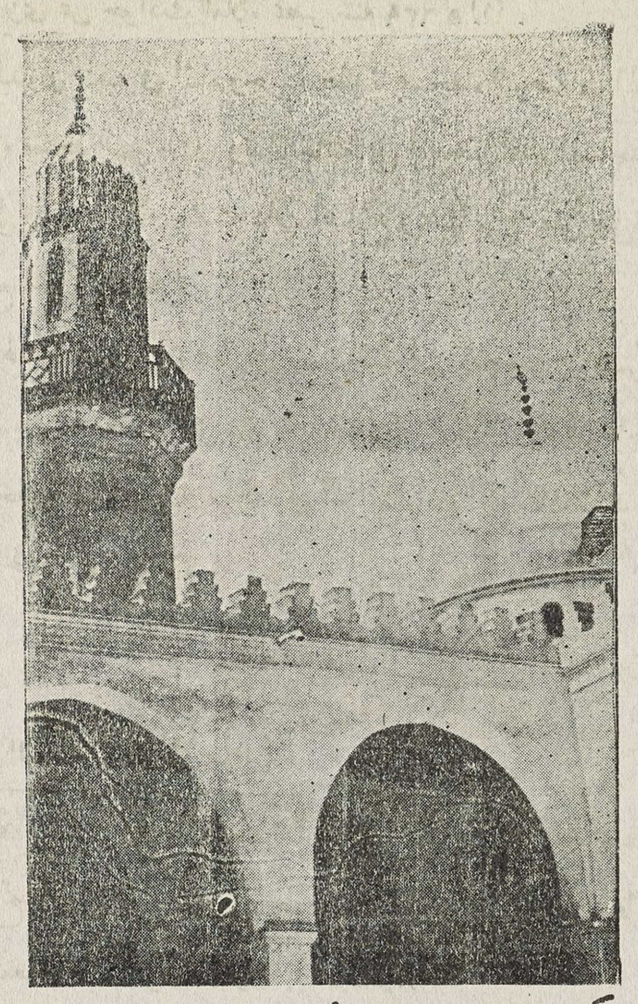
ولما مات الشيخ ركن الدين ، انتقل البدوى إلى دار أخرى مجاورة ، وهى دار ابن شحيط شيخ الناحية ، وكانت تقع فى سفح تل عالٍ ، وظل بها حتى مات ، ولأن البدوى عاش فى تلك الدار الأخيرة نحو ست وعشرين سنة ، فإن أكثر الرواة يشيرون إليها فى رواياتهم ، دون أن يذكروا شيئاً عن دار الشيخ ركين ، التى أشار إليها عبد الصمد والخفاجى ؛ وثبتت لنا حقيقتها بما

---

(١) الجواهر : ص ٢٦ ، النفحات : ص ٢٣٣ (٢) السلوك : ج ١ قسم ٢ ص ٣٠٨


النشأة التاريخية لمدينة طنطا
١ طنشا
قرية من ضواحي سبرباي
٢ طندتا
عاصمة إقليم الطندتاويه
٣ طنت
قرية من قرى الغربية
٤ طنط
احدى قرى المنوفيه
٥ طنطا
عاصمة لاحدى نواحي الغربيه
٦ طنطا
عاصمة مديرية الغربيه
البحر الابيض
المتوسط
بحيرة البرلس
دمياط
رشيد
القاهره
سمنود
ابيار
سخا
منوف
المنصوره
دمنهور
الغربيه
المنوفيه
المحلة الكبرى
شبين الكوم
بحيرة المنزله
بنها
كفر الشيخ
كفر الزيات
طرنوط
اتريب
قليوب





مسجد البهي بطنطا، وهو المعروف
قديماً بمسجد «البوصة»

رواه المقريزى عن حوادث الغلاء بمصر سنة ٦٣٩ هـ (١) .

وكان البدوى يتعبد فى أثناء وجوده بطندتا بمسجد « البوصة » ، المعروف الآن باسم « مسجد البهى »(٢) ، وتدل حالته على أنه حتماً أقدم المساجد بطنطا لأنه بنى على ربوة ، ولأن مئذنته ذات أضلاع وعليها برج مغلق على نظام مئذنة جامع الحاكم بالقاهرة .

وكان لهذا المسجد شأن عظيم فى تاريخ البدوى ، فقد سكن بالقرب منه وكان يتعبد به . ويحتفل فيه كل عام بافتتاح المولد الكبير وكذلك باختتامه ، فيصلى فيه خليفة البدوى صلاة الجمعة فى آخر يوم من أيام ذلك المولد ، ويبدأ منه ركب الخليفة بعد الصلاة .

* * * *

٤ — حياة البدوى بطندتا (طنطا) :

وقد اعتاد البدوى منذ نزل طندتا أن يجلس على سطح منزله ، على عادة سكان البطائح من الرفاعية بالعراق ، حيث كان يجلس شيخهم أحمد الرفاعى على السطح ليسمعه سكان القرى المجاورة إذا ماتكلم (٣) .

وقد تجلت حياة البدوى الصوفية بطندتا فى أروع مظاهرها ، فكان يصوم

---

(١) الراجح أن دار الشيخ ركن الدين كانت على مقربة من مسجد البهى . أما دار ابن شحيط فهى على التحقيق في داخل المسجد الاحمدى الحالي .

(٢) يقع هذا المسجد الآن بالجهة الجنوبية الغربية لمسجد البدوى وبالقرب منه . وقد عرف باسمه الحالي بعد أن دفن به المغفور له الشيخ محمد أحمد يوسف البهى من أفاضل العلماء وذلك سنة ١٢٦٠ هـ .

(٣) الطبقات : ج ١ ص ١٩٠

النهار ويقوم الليل عابداً مسبحاً بحمد الله ، لا يقصد بذلك إلا مرضاة وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى .

وكان إذا ظهر عليه الوَله صاح صياحاً عالياً ، وأخذ يبكي ويتطلع إلى السماء حتى تحمر عيناه ، وتصف دائرة المعارف الإسلامية حال البدوى بطندتا ، فتقول : « قد كان يصعد إلى سطح بيت معين ، ويرفع عينيه صوب الشمس حتى تحمرا وتمرضا وتصبحا أشبه شيء بالجمرتين ، وكان تارة يطول صمته ، وتارة يتصل صراخه ، وكان يمتنع عن الزاد والشراب ما يقرب من الأربعين يوماً (١) » .

ولذلك عرف أتباع البدوى الأوائل باسم « السطوحية » ، نسبة إلى سكنى السطح ؛ ومن أشهرهم عبد العال وأخوه عبد المجيد الأنصارى وعبد الوهاب الجوهرى ، وقمر الدوله ، وحسن الصائغ ، (٢) ومحمد الفران ، ويوسف الامبابى ، ومبارك المنوفى ، وعلى الزنكلونى ، وشعيب ، وكثير غيرهم ممن عرفوا أيضا باسم الأحمدية ، نسبة إلى شيخهم وصاحب طريقتهم السيد أحمد البدوى (٣) .

****

---

(١) المجلد الاول : ص ٤٦٦ . (٢) دفن عبد المجيد وعبدالوهاب وقمر الدولة والصائغ على ابعاد متساوية تقريباً من مسجد البدوى بطنطا . فدفن الاول فى فيشا سليم . والثانى فى محلة مرحوم . والثالث في نفيا . والرابع في اخنا .

(٣) ورد بالجواهر ص ١٧ وما بعدها تفصيل لعدة كبيرة من السطوحية فليرجع اليه من شاء .

الفصل السادس

عصر البدوى

١ - البدوى صورة صادقة لعصره :

أقر مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية لأحمد البدوى « أنه - باعتباره من المتصوفة والأولياء - قد تركزت فيه شتى رغائب معاصريه وميولهم ، بل رغائب الذين سبقوه والذين جاءوا بعده أيضاً (١) » .

ولا جدال فى ذلك فأحمد من الصوفية القليلين الذين ذاع صيتهم ، واشتهر أمرهم فى مصر خاصة ، والشرق عامة ، فى القرن السابع الهجرى . وكانت طريقته الأحمدية من أعظم الطرق الصوفية انتشاراً بمصر ، وعرفت أخيراً باسم « المقامتية الأحمدية » نسبة إلى مقام السيد البدوى .

وقد تفرعت من الأحمدية فرق وأحزاب تحمل أسماء منشئيها من الأحمدية الأوائل ، كالشناوية ، نسبة إلى الشيخ الشناوى ، والشعيبية ، نسبة إلى الشيخ شعيب ، وما إلى ذلك من الطرق التى تشعبت عن الأحمدية ، وبلغ عددها نحو أربع عشرة طريقة (٢) .

****

---

(١) المجلد الاول : ص ٤٦٩

(٢) سنعود الى الكلام عن الطريقة الاحمدية مرة أخرى لاستكمال بحثها

٢ - تصوف العلماء :

ولقد كان البدوى حقاً صورة صادقة لعصره ، فقد عاصره - كما سبق عصره - جمهرة من جهابذة الصوفية بنوعيها ، النظرية والعملية فى الشام والعراق ومصر وبلاد المغرب .

فعاش بالشام محي الدين بن عربى ، أحد فلاسفة الصوفية فى القرن السابع الهجرى ، وقد نشأ نشأة شبيهة بتلك التى نشأها البدوى وغيره من متصوفة مصر فى عصره ، فرحل من الغرب إلى الشرق حيث أكمل دراسته واشتهر أمره ، وقد زار مصر والحجاز والعراق ، على عادة علماء العصر ، واستقر أخيراً بدمشق حيث توفى سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤١ م) .

ويعتبر أحمد البدوى منذ أجيال « قطباً » فيما يعرف عادة بالقطابة ، وهى أعلى درجات الصوفية ، وذلك إلى جانب عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ٥٦١ هـ ، والرفاعى المتوفى سنة ٥٧٠ هـ ، وهما من أشهر أقطاب الصوفية بالعراق فى القرن السادس الهجرى ، وقد تأثرا بتعاليم الغزالى الصوفية ، فيمثل الجيلانى صوفيته النظرية ، والرفاعى صوفيته العملية (١) .

وقد اشتهر بمصر فى عصر البدوى كثير من المتصوفة الذين بلغوا درجته

---

(١) المقصود بالصوفية النظرية ، المجاهدة عن طريق البحث والعلم النظرى ، أما الصوفية العملية فهى المجاهدة فى سبيل ارضاء الله . وذلك بالصيام وطول التعبد والزهد فى المأكل والملبس والمشرب والبعد عن الناس والصمت فى أغلب الاحيان .

أو كادوا كأبى الحسن الشاذلى(١) ، شيخ الطريقة الشاذلية المتوفى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، وقد عاصره بالاسكندرية أبو القاسم القبارى (٢) ، المتوفى سنة ٦٦٢ هـ (١٢٦٤ م) ، وأبو عبدالله الشاطبى(٣) ، المتوفى سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣م) واشتهر بدسوق ابراهيم الدسوقى (٤) ، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) .

وقد ظهر فى هذا العصر أيضاً أبو داود مسلم السُّلمى(٥) ، شيخ الطريقة المسلمية ، المتوفى سنة ٦٦٦ هـ (١٢٦٨ م) . وكذلك عاش أبو العباس

---

(١) هو على بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي نسبة الى شاذلة (قرية بشمالي أفريقيـة) ، وكان ضريراً زاهداً ، اشتهر بعلمه وفضله وصحب الشيخ نجم الدين الاصفهاني وابن مشيش وغيرهما وحج مرات . وكان يعيش بالاسكندرية حيث اشتهرت طريقته الشاذلية التي لا يزال أمرها معروفا الى اليوم ، وتوفي أبو الحسن وهو فى طريقه الى الحج قرب القصير على البحر الاحمر حيث دفن سنة ٦٥٦ هـ . وقد ترجم له الشعراني في (طبقاته : ج ١ ص ٥ ـ ١٧) ، كما أشار اليه السيوطى فى (حسن المحاضرة : ج ١ ص ٢٩٨) .

(٢) السلوك : ج ١ قسم ١ ص ٥٢٣

(٣) هو من أسرة أبي محمد القاسم الشاطبي ، أمام القراء ، وأصلهما من بلدة (شاطبة) بالاندلس وتوفي أبو محمد سنة ٥٩٠ هـ (راجع حسن المحاضرة : ج ١ ص ٢٩٩ والوفيات : ج ١ ص ٤٢٢)

(٤) هو ابراهيم بن ابي المجد بن قريش بن محمد بن أبي النجاء ويتصل نسبه بعلى بن أبي طالب تفقه على مذهب الشافعى ثم اقتفي آثار الصوفيه واهتدى بهديهم حتى علا قدره وجل أمره (راجع الطبقات : ج ١ ص ٢٢٦ ـ ٢٤٥)

(٥) أخذ الشيخ مسلم طريقته عن الشيخ مروان أحد أصحاب الشيخ مرزوق ثم رحل الى القاهرة حيث عني به الصاحب بهاء الدين بن حنا . (راجع السلوك : ج ١ ص ٥٧٢) .

المرسى (١) ، المتوفى سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٨ م) .

وقد عاشت الصوفية بمصر بعد البدوى ردحاً من الزمن ، وظهر أثرها فى كتابات من عاشوا بعده فى القرن الثامن الهجرى ، مثل ياقوت العرشى (٢) المتوفى سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧ م) ، وابن عطاء الله الإسكندرى (٣) ، المتوفى سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) .

* * *

---

(١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن على الخزرجى الانصارى المرسى ويتصل نسبه بسعد بن عبادة الانصارى سيد الخزرج . ولد أبو العباس في بلدة (مرسية) بالاندلس سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩م) ونشأ بها ونسب اليها . ولما انتقل الي تونس استقر بها واشتغل بالتدريس . ثم تعرف على الشيخ أبي الحسن الشاذلى وصحبه الى مصر سنة ٦٤٢هـ ونزلا بالاسكندرية . ثم انتقل وحده الى القاهرة وعاش بها بعض الوقت . وقد أدي فريضة الحج وتصدر مجالس العلم بالقاهرة والاسكندرية وكان خير وريث للشاذلي في علمه وطريقته . مات بالاسكندرية ودفن بها سنة ٦٨٦ هـ (١٢٨٨م) . وقد جدد مسجده وافتتحه جلالة الملك فاروق الاول فى مايو سنة ١٩٤٥ م . (راجع الطبقات : ج ٢ ص ١٧ — ٢٧ وما نشر بجريدة المصري بتاريخ ١٢ مايو سنة ١٩٤٥ بالعدد رقم ٢٩١٠)

(٢) هو أحد تلامذة أبى العباس المرسى ، ويقال انه من الحبشة ، وقد اتصل اسمه بتاريخ البدوي فى موضوع الشفاعة للشيخ شمس الدين اللبان ، الذى خاض في حق الاحمدية ، فسعى ياقوت له عند البدوى حتى صفح عنه ، ثم زوجه ياقوت من ابنته بعد ذلك . (راجع الطبقات : ج ٢ ص ٢٧ ، والجواهر : ص ٥٠) .

(٣) كان من اهل العلم والحديث ، درس بالازهر وصحب ابا العباس المرسى وياقوت العرشى وتعتبر حكمه دستوراً للصوفية . (راجع الطبقات : ج ٢ ص ٢٧ ، والتصوف الاسلامي : ج ١ ص ١٣٦) .

٣ - تصوف الحكام :

ولم يكن التصوف فى تلك العصور مقصوراً على طبقة العلماء ومن حولهم من أفراد الشعب ، بل ظهر أثره أيضاً بين طبقات الحكام والسلاطين ، فقد كان نور الدين محمود بن زنكى ، سلطان السلاجقة بالعراق (١) ، يترسم خطى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى حدبه على المسلمين ، وصرفه أموالهم فى إعداد الجند وبناء الحصون لمقاومة نفوذ الصليبيين فى الشرق بعد نجاحهم فى الحرب الصليبية الأولى (١٠٧٩ - ١٠٩٩ م) .

ولم يختص نور الدين محمود نفسه إلا بالقليل من المال ، مما دعا زوجته إلى أن تشكو إليه ماهى فيه من فقر وتقتير ، فأجابها – كما روى لينبول – بقوله : « ليس لدى أكثر مما عندى لأن كل مانحت يدى إنما هو فى ذمتى للناس فحسب (٢) » .

وكذلك كان صلاح الدين الأيوبى ، مؤسس الدولة الأيوبية بمصر ، وخليفة السلاجقة فى ملكهم وفى زعامة المسلمين ، متصوفاً زاهداً ، مجاهداً فى سبيل الله ، عاملا على نصرة دينه ، وقد عاش فقيراً ومات فقيراً .

وقد أفاض ابن خلكان ، وابن شداد ، ولينبول فى وصف شمائل صلاح الدين ومظاهر حبه للشعب ، وإيمانه بالتضحية فى سبيل نصرة الإسلام

---

(١) ظهر نفوذ السلاجقة فى أواخر حكم الدولة العباسية بين سنتى ٤٤٧ و ٥٧٥ هـ (١٠٥٥-١١٨٠م) وكانوا من الاتراك المسلمين المتعصبين للسنة

(٢) صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس : ص ٢٣٢

ودليل ذلك اشتراكه بنفسه فى حمل الأحجار لتحصين بيت المقدس ، وعدم وجود المال الكافى لتجهيزه ودفنه عند ما مات سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م)(١) .

ولم تقف الرغبة فى التصوف عند شخص صلاح الدين ؛ بل تعدته إلى الديار المصرية وأهلها ، فقد أنشئت المدارس لتعليم المذهب السنى ، وبنيت الخوانق والرُبط للمتصوفة ، حتى يسهل إعداد الأذهان وطبع العقول بطابع أهل السنة ، ويُقضى على مظاهر الحكم الفاطمى الشيعى .

ثم سار خلفاء صلاح الدين من بعده على منواله ، فصارت مصر فى عهد الأيوبيين قبلة الأنظار ومهبط الزوار ، ومحط رحال العلماء الأبرار(٢) .

وسار السلطان ركن الدنيا والدين الظاهر بيبرس البندقدارى ، المؤسس الحقيقى لدولة المماليك البحرية والمعاصر للبدوى ؛ سيرة الأيوبيين فى نزعتهم الصوفية وعطفهم على الفقراء والمساكين ؛ كما كان يعتقد فى الأولياء ويخرج لزيارتهم بنفسه ، وكان يتداوى بالصدقة ، وقد روى المقريزى أنه فى أواخر شوال سنة ٦٦٣ هـ « نزل بالسلطان وعك فتداوى بالصدقة وأعطى الفقراء مالا جزيلا (٣) » . وروى كذلك « أنه حدث فى عهده غلاء شديد بمصر ، وعدمت الغلة ، فجمع السلطان الفقراء وعَدهم وأخذ لنفسه خمسمائة فقير يمونهم ولابنه « السعيد بركة خان » خمسمائة فقير ، والنائب « بيلبك » الخازندار

(١) صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس : ص ٣٦٦

(٢) يصف ذلك باسهاب كل من المقريزى في (السلوك : ج ١ ، والقلقشندى في صبح الاعشى : ج ٣) .

(٣) السلوك : ج ١ قسم ٢ ص ٥٣٨

ثلثمائة فقير ، وفرق الباقى على سائر الأمراء ، ورسم لكل إنسان فى اليوم برطلى خبز ، فلم يُرَ بعد ذلك فى البلد أحد من الفقراء يسأل (١) » .

وكذلك كان الحال فى بلاد المغرب فى عهد ملوك المرابطين والموحدين صورة لما كان فى المشرق من الميل إلى التصوف، والزهد فى الحياة بوجه عام .

ويصف ذلك ابن خلدون فى تاريخه فيقول :

« كان لهم شأن فى الاهتمام بالعلم والجهاد ، وتشييد المدارس ، واختطاط الزوايا والربط ، وسد الثغور ، وبذل النفوس فى ذات الله ، وإنفاق الأموال فى سبيل الخيرات ، ثم مخالطة أهل العلم وترفيع مكانهم فى مجالسهم ، ومفاوضتهم فى الاقتداء بالشريعة ، والانقياد لإشارتهم فى الوقائع والأحكام ومطالعة سير الأنبياء ، وأخبار الأولياء ، وقراءتها بين أيديهم فى دواوين ملكهم ، ومجالس أحكامهم ، وقصور عزهم » .

ثم يستطرد ابن خلدون فى هذا الوصف فيقول :

« وأما وقوع الخوارق فيهم ، وظهور الكاملين من النوع الإنسانى من أشخاصهم ، فقد كان فيهم من الأولياء المحدثين أهل النفوس القدسية ، والعلوم الموهوبة ، ومن حملة العلم عن التابعين ومن بعدهم من الأئمة والكهان . . . . ، ما يدل على عظيم عناية الله بذلك الجيل وكرامته لهم ، وبما آتاهم من جماع الخير ، وآثرهم به من مذاهب الكمال (٢) » .

****

---

(١) المواعظ والاعتبار : ج ٤ ص ٩٦

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر : ج ٦ ص ١٠٥

الفصل السابع

حياة البدوى العلمية

١ - درجة البدوى العلمية :

يرى بعض الكتاب - وفى مقدمتهم مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية - « أن شخصية البدوى ضئيلة القدر من الوجهتين العقلية والأدبية (١) ». إلا أن هذا القول مبالغ فيه ، فالبدوى - على الرغم من أنه لم يكن من أعلام الشعر والأدب ، أو عظماء المؤرخين والكتاب - كان من فلاسفة التصوف الاسلامى فى عصر الانحلال والتراجع لهذه الفلسفة إجمالا ، ذلك أن القرنين الخامس والسادس للهجرة قد امتازا بفلسفة صوفية مبسطة ، أساسها الكتاب والسنة فى أضيق الحدود ، ومن غير تعمق أو تأويل .

ومثلها فى ذلك مثل العصر الأول لهذه الفلسفة ، وهو دور « النشأة » فى تاريخها ، حيث كان « الحسن البصرى » يدعو الناس بالبصرة إلى عبادة الله فى وضوح وجلاء ، رائده فى ذلك كتاب الله وسنة رسوله ، على طريقة العرب فى البادية ، إذ لم تكن الثقافة الإسلامية قد اختلطت بعد بنظريات متصوفة الفرس والهنود ، وغيرهم من أهل الثقافات القديمة (٢) .

---

(١) المجلد الاول : ص ٤٦٧ (٢) دروس فى الفلسفة : ص ٧١ وما بعدها .

ولما نشطت حركة الترجمة والتأليف فى العصر العباسى ، وخاصة فى عصر المأمون ، كان لهذه الحركة الناجحة آثار بعيدة المدى فى العقلية الإسلامية والثقافة الدينية ، ولا سيما التصوف الاسلامى الذى أصبح عقيدة دينية ومذهباً فلسفياً خطيراً ، فكثر أتباعه وأنصاره ، وعلا نجمه ، ورفع لواءه بعض الفلاسفة فى هذا الدور « دور الكمال » ، كالحسين الحلاج(١) الزاهد المشهور ، وكبير فلاسفة التصوف بالعراق فى أوج عظمته ، وقد قتل فى عهد « المقتدر » الخليفة العباسى ، بعد أن أفتى قضاة بغداد بكفره وإلحاده فى سنة ٣٠٩ هـ .

وقد كان ما حدث للحلاج وأضرابه من القتل والاضطهاد أصدق مثل للتضحية فى سبيل العقيدة ، وأكبر دليل على تطور نظريات التصوف بتطور الأفكار ، ونشاط للترجمة والتأليف منذ عصر المأمون ، فضلا عن أن هذا النشاط الفكرى لم يقتصر على التصوف ، بل اتصل بأصول الدين الاسلامى ومظاهر الكون ، وحقيقة القرآن والايمان ، وغير ذلك مما كان مثار جدل عنيف بين المعتزلة والأشاعرة والمتصوفة والمرجئة .

وكان أثر هذه المذاهب فى سياسة الدولة عظيما كذلك ، إذ كان الخلفاء يناصرون أصحابهم فى المذهب ، ويضطهدون غيرهم من أصحاب المذاهب

---

(١) هو ابو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد المشهور ، وهو من أهل « البيضاء » . بلد بفارس — عاش بالعراق ، وصاحب « الجنيد » ، وقتل سنة ٣٠٩ هـ لاتهامه بالالحاد لانه تعمق فى أبحاثه الصوفية ، وكان من أنصار نظرية « وحدة الوجود » (راجع الوفيات : ج ١ ص ١٤٦ و ١٤٧ ، والتصوف الاسلامى : ج ١ ص ١٩٢ — ٢١١) .

الأخرى ، بل إن فداء الأسرى فى الحروب كان يفضل فيه من هم من مذهب الحكومة .

إلا أن العقول والأفكار ما لبثت أن سئمت هذه الحال الشاذة ورأت أن خير وسيلة لاطمئنان النفوس وأمن القلوب ، العودة إلى البساطة الأولى والتفكير المحدود فيما أنزل الله فى محكم كتابه ، وما اتبعه الرسول الكريم من سنة حنيفية سمحة .

وقد ساعد على ذلك ظهور نفوذ السلاجقة فى بغداد ، واستمرار حكمهم بين سنتى ٤٤٧ و ٥٧٥ ه ، وهم من المتعصبين للسنة ، وقد تولوا الحكم بعد زوال دولة بنى بويه من غلاة الشيعة .

وقد سار على منوالهم صلاح الدين الأيوبى فى مصر ، حيث قامت دولته على أنقاض دولة شيعية أخرى ، هى الدولة الفاطمية .

وبذلك عاد التفكير فى التصوف فى هذا الدور الأخير ، « دور التراجع » إلى أسس الكتاب والسنة ، ولم يقبل منه إلا ما دار حول الزهد والتقشف ، وتربية النفس وإصلاح شأنها .

وقد أيد المتصوفة فى هذا الرأى ، حجة الإسلام ، الإمام الغزالى (١)

---

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى الملقب بحجة الاسلام زين الدين الطوسى الشافعى ، أكبر أئمة الشافعية في أواخر عصره ، بدأ حياته بطوس ثم انتقل الي نيسابور ثم خرج الى العسكر ببغداد ، واشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية التى أنشأها « نظام الملك » وزير الملك شاه السلجوقي سنة ٤٨٤ ه . وفي سنة ٤٨٨ ه ترك الغزالى التدريس وسلك طريق الزهد والانقطاع ، ثم حج البيت الحرام ، ثم توجه الي الشام واقام بدمشق مدة ، ثم خرج الي الاسكندرية حيث اقام مدة من الزمن . ثم عاد الي وطنه طوس بفاس وتوفى بالطابران سنة ٥٠٥ ه (راجع الوفيات : ج ١ ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤ ودروس فى الفلسفة : ص ٧٥)

المتوفى سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ م) ، فلم ينكر التصوف من أساسه ، بل قرر فى كتابه « إحياء علوم الدين » أن هناك عالمين : عالم الظاهر ، وعالم الباطن ، وإذا كانت الحواس وسيلة إدراك العالم المادى الظاهر ، فإن الفيض والالهام طريقة الوقوف على العالم الثانى ، عالم الروح الخفى ، ولا يتم هذا الفيض والالهام باتحاد أو حلول ، بل هو ضرب من الكشف الروحى يحدث فى النوم أو فى حال اليقظة لكل من أعرضوا عن الدنيا وملاذها ، وتحلوا بأسمى الفضائل(١)

ويصف أحمد الرفاعى هذا الكشف الروحى فيقول :

« الكشف قوة جاذبة بخاصيتها نور عين البصيرة إلى فيض الغيب ، فيتصل نورها به اتصال الشعاع بالزجاجة الصافية حال مقابلتها ، ثم يتقاذف نوره منعكساً بضوئه على صفاء القلب ؛ ثم يترقى ساطعاً إلى عالم العقل فيتصل به اتصالا معنوياً له أثر فى استفاضة نور العقل على ساحه القلب ، فيشرق نور العقل على إنسان عين السر ، فيرى ما خفى عن الأبصار موضعه ، ودق عن الأفهام تصوره ، واستتر عن الأغيار مرآه (٢) » .

ومن هنا انقسم المتصوفة شعبتين : معتدلين ، ومتطرفين ، أما المعتدلون فهم فلاسفة سنيون يدينون بنظرية الفيض والالهام ، ويعملون فى حدود الكتاب والسنة ، فهم بذلك صوفية عمليون ؛ ويسميهم ابن تيمية « صوفية الحقائق » الذين اجتمعوا على الحق تعالى فى صفاء فاستغرقهم هذا الاجتماع إلى الأبد(٣) » .

---

(١) دروس فى الفلسفة : ص ٧٥ . (٢) الطبقات : ج ١ ص ١٨٧ .

(٣) رسالة الصوفية والفقراء : ص ٢١

أما المتطرفون فهم أنصار الحلاج فى حلوله ، والبسطامى(١) فى اتحاده ، وهم مبتدعون خضعوا لحكم العقل إلى أبعد مدى ، فكانوا صوفية نظريين يتخذون التصوف كمذهب من المذاهب الكلامية النظرية دون الرجوع إلى الحقائق المتصلة بالكتاب والسنة .

وقد اتصل أكثرهم بالسياسة ، وكان لهم أثر كبير فى قيام الدولة الفاطمية ودولة القرامطة ، والموحدين ؛ وغيرهم ممن امتلأت بأخبارهم كتب التاريخ والفلسفة ، وهؤلاء فى نظر ابن تيمية هم « صوفية الأرزاق » .

وما أن بدأ القرن السادس الهجرى حتى ظهرت بوادر النصر للشعبة الأولى ، شعبة المعتدلين من أنصار الكتاب والسنة ، وأخذ نفوذ التصوف السنى يفوق نفوذ التصوف الفلسفى .

وكان من أنصار التصوف السنى فى هذه الفترة : الجيلانى والرفاعى اللذان أخذا عن الغزالى آراءه فى التصوف ، وكان لطريقتهما (القادرية والرفاعية) شأن يذكر فى العصور التالية(٢) .

ولم يقف أثر الغزالى عند القرن السادس الهجرى ، بل سار متصوفة القرن السابع على منواله ونهجوا سبيله ، مسترشدين بتلميذيه : الجيلانى والرفاعى ، فصارت لهم السيادة التامة فى عصورهم ، ومنهم زعيم متصوفة مصر وأكبر أوليائها فى القرن السابع الهجرى ، وهو السيد أحمد البدوى المترجم له .

---

(١) هو أبو يزيد طيفور البسطامي ، نسبة الى بسطام بخراسان ، كان جده مجوسياً ثم أسلم ، وقد عاصر الحلاج ، وتوفي سنة ٢٦١ هـ (راجع الوفيات : ج ١ ص ٢٤٠ ، والطبقات : ج ١ ص ١٠٠ ودروس في الفلسفة : ص ٧٣) .

(٢) دروس فى الفلسفة : ص ٧٥ .

وهو - كما ترى - من شعبة الصوفيين السنيين المعتدلين الذين كانوا يرون - كما رأى الغزالى - « أن التصوف - قبل كل شيء - دراسة للسلوك ، ورسم للسيرة الفاضلة ، فلا حاجة به إلى نظريات فلسفية دقيقة ، ولا إلى إبحاث نفسية عميقة ، وكل ما يعتمد عليه إنما هو الطاعة والتقرب إلى الله ، والزهد والاعراض عن الدنيا ، وقد يصل الطائع بعبادته إلى ما لا يصل إليه العالم بعلمه من رضا الله ومحبته(١) » .

****

٢ - مبادىء البدوى وآراؤه :

لقد جاءت مبادىء البدوى وآراؤه دليلا واضحاً على قدرته العلمية التى أشرت إليها فيما سبق ، ذلك أنه كان يعتمد فى طريقته على الكتاب والسنة ، والخلق الفاضل كما سيظهر لنا من شرح طريقته .

وتتفق مبادىء البدوى وآراؤه مع الآراء الأساسية للزهاد المسلمين فى جميع عصورهم ، غير أنه لم يكن ممن يدينون بنظرية (وحدة الوجود) ، التى اشتهرت بين المتصوفة زمناً طويلا ، فلم يؤمن بالحلول الحلاجى ، أو الاتحاد البسطامى ، بل كان يفرق بين الخالق (عز وجل) ، وبين مخلوقاته ومصنوعاته .

ويوضح ذلك فى قوله لعبد العال (المتعال) - أول خلفائه - عند ما سأله عن معنى « التفكير » : « تفكر فى خلق الله وفى مصنوعات الله ، ولا تفكر فى ذات الله(٢) » . ويطابق هذا التفسير قول النبى (صلى الله عليه وسلم) : « فكروا

---

(١) دروس فى الفلسفة : ص ٧٥ (٢) الجواهر : ٥٧

فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله فتهلكوا ».

وللبدوى آراء واضحة فيما تكلم عنه المتصوفة ، كبيان الفرق بين الفقير والصوفى ، الأمر الذى تضاربت فيه آراء المتصوفة ، وكان البدوى يميل إلى تفضيل لفظ « الفقير » وقد ذكر شروطاً خاصة رواها لعبدالعال ، وكلها تتصل بالعبادة والزهد والقناعة ، وغيرها من صفات المتصوفة ، ويروى الشيخ عبد الصمد هذه الشروط عن البدوى مخاطباً عبد العال فيقول (١) :

للفقراء اثنتا عشرة علامة - رواية عن على بن أبى طالب - وهى : -
أن يكون الفقير عالماً بالله تعالى ، مراعياً لأوامره ، متمسكا بسنة النبى (صلى الله عليه وسلم) ، دائماً على الطهارة ، راضياً عن الله تعالى فى كل حال ، موقناً بما عند الله ، آيساً مما فى أيدى الناس ، متحملا للأذى ، مبادراً لأمر الله ، شفيقاً على الناس ، متواضعاً لهم ، عالما أن الشيطان ، عدو له كما أخبر الله تعالى بقوله : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » (٢) .

ويطابق رأى البدوى فى تفضيل لفظ (الفقير) رأى أكثرية متصوفة عصره ، فيقول ابن تيمية فى هذا الصدد : « وأكثر الناس قد رجحوا الفقر » ويعلل ذلك فيقول : « لما كان جنس الزهد فى الفقر أغلب ، صار الفقر فى اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد ، وهو من جنس التصوف ، فاذا قيل هذا فيه فقر ، أو ما فيه فقر ، لم يرد به عدم المال ، ولكن يراد به ما يراد باسم الصوفى من المعارف والأحوال ، والأخلاق والآداب ، ونحو

---

(١) الجواهر : ص ٥٦ (٢) القرآن الكريم : سورة فاطر - الآية ٦

ذلك . وعلى هذا الاصطلاح قد تنازعوا فى تفضيل الفقير أو الصوفى ، فذهبت طائفة إلى ترجيح الصوفى ، كأبى حفص السهروردى ، ونحوه ، وذهبت طوائف كثيرة إلى ترجيح الفقر(١) » .

ويقول مؤلفو دائرة المعارف الإسلاميه : « إن الاسم الشائع للمتصوفة هو الفقراء (٢) » .

وللبدوى أيضاً آراؤه الخاصة فى تفسير بعض الألفاظ والمصطلحات الصوفية تتفق مع آراء الغزالى والجيلانى وابن عربى إلى حد بعيد ، فقد كان يرى(٣) :

« أن التوبة النصوح : هى الندامة على مامضى من الذنب ، والإقلاع عن المعصية ، والاستغفار باللسان ، والعزم على ألا يعود الإنسان إلى المعصية ، والصفاء بالقلب . فهذه هى التوبة النصوح التى أمر الله بها ، وذكرها فى كتابه العزيز فقال : « يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا (٤) » .

الذكر : ويكون بالقلب لا باللسان فقط ، فإن الذكر باللسان دون القلب شقشقة . ويوضح ذلك لعبد العال فيقول : « أذكر الله بقلب حاضر ، وإياك والغفلة عن الله فانها تورث القسوة فى القلب » .

الوجد : وهو أقصى ثمار الذكر ويحصل على الوجه التالى :

« فى حالة الاتصال بالله ، يفيض نور إلهى على قلب العابد يقشعر له بدنه ،

---

(١) رسالة الصوفية والفقراء : ص ٢٥ (٢) المجلد الاول : ص ٤٦٨

(٣) راجع الجواهر : ص ٥٦ و ٥٧ (٤) القرآن الكريم : سورة التحريم ، الآية ٨

فيعروه الوجد حينئذ، ويتعلق بالله التعلق كله (١) ». وعندما يزيد الوجد يصير « وَلهاً »، وهو إفراط الوجد، ودرجة عليا فى التسامى الروحى.

الصبر: وهو الرضا بحكم الله، والتسليم لأمره، وأن يفرح الإنسان بالمصيبة كما يفرح بالنعمة - قال تعالى: « وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون (٢) ».

الزهد: هو مخالفة النفس بترك الشهوات الدنيوية، وأن يترك الانسان سبعين باباً من الحلال مخافة أن يقع فى الحرام.

الإيمان: وهو أثمن شيء، وأكثر الناس إيماناً أتقاهم، وكلما حسنت أخلاق المريد (٣) زاد إيمانه. ويقول البدوى: « إن أحسنكم خلقاً أكثركم إيماناً بالله (٤) ».

****

٣ - الطريقة الأحمدية:

وقد انتشرت مبادىء البدوى وآراؤه على أيدى « السطوحية (٥) »، أتباعه الأوائل، وتلامذته الذين سارعوا إلى نصرته واعتناق مذهبه فى التصوف منذ هبط طندتا (طنطا).

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية: المجلد الاول. ص ٤٦٧

(٢) القرآن الكريم: سورة البقرة. الآيتان ١٥٥ و ١٥٦

(٣) المريد هو المتجرد عن ارادته، الراغب فى ترسم خطى المتصوفة.

(٤) الجواهر: ص ٥٥ (٥) سموا كذلك لجلوسهم على السطح.

ولما كثر أتباع البدوى انتشروا فى أرض مصر تحت زعامة السطوحية، وعرفوا « بالأحمدية »، وكانوا يعدون بالألوف، ويمثلون طائفة من طوائف المجتمع المصرى فى عهد المماليك والعصر العثمانى، وكانت ألفاظهم وتعابيرهم الصوفية مصرية بحتة، وذلك لأن الأحمدية طال عهدهم بصحبة الفقراء فى وادى النيل(١) ».

وقد قامت الطريقة الأحمدية طبقاً لمبادىء القرآن، وتعاليم السنة. ويصف البدوى ذلك لعبد العال فيقول: « هذه طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة، والصدق والصفاء، وحسن الوفاء، وحمل الأذى، وحفظ العهود(٢) ».

وكانت الرابطة بين البدوى ومريديه قائمة على عهد صوفى خلقى اجتماعى يقطعه المريد على نفسه إذا أراد الانتظام فى سلك الطريقة الأحمدية. وتتلخص نصوص هذا العهد فيما ذكره البدوى لعبد العال من وصايا يسير على هديها المريدون والأتباع، ومنها(٣):

ياعبد العال، إياك وحب الدنيا، فإنه يفسد العمل الصالح، واعلم بأن الله قال فى كتابه « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (٤) ».

يا عبد العال، أشفق على اليتيم، واكس العريان، وأطعم الجوعان، وأكرم الغريب والضيفان، عسى أن تكون عند الله من المقبولين.

ياعبد العال، عليك بكثرة الذكر، وإياك أن تكون من الغافلين

---

(١) التصوف الاسلامي: ج ١ ص ٧٩ (٢) الجواهر: ص ٥٦

(٣) الجواهر: ص ٥٥ و ٥٦ (٤) القرآن الكريم: سورة النحل ، الآية ١٢٨

عن الله ، واعلم أن كل ركعة بالليل أفضل من ألف ركعة بالنهار .

ياعبد العال ، أوصيك ألا تشمت بمصيبة أحد من خلق الله ، ولا تنطق بغيبة ولا نميمة ، ولا تؤذ من يؤذيك ، واعف عمن ظلمك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، وأعط من حرمك (١) .

وكان البدوى يتبع فى تعليم تلاميذه ومريديه طريقة ديمقراطية واضحة . تتفق مع مبادىء الإسلام الحنيف ، من حيث الإخلاص فى التدريس ، وتغذية الجسم تغذية روحية لها أثرها فى سلوك المريد وأعماله ، ولا جدال فى ذلك ، فالدين الإسلامى نظام اجتماعى دقيق قبل كل شىء .

وتظهر تلك الطريقة فى إحدى وصايا البدوى الشهيرة لعبد العال ، ففيها يقول(٢) :

« إن الفقراء كالزيتون ، فيهم الكبير والصغير ، ومن لم يكن فيه زيت ، فأنا زيته ، يعنى من كان صادقا فى فقره ، صافياً كالزيت الصافى ، عاملا بالكتاب والسنة فأنا مساعده فى جميع أموره وقضاء حوائجه الدنيوية والأخروية ، لا بحولى ولا بقوتى ، بل ببركة النبى صلى الله عليه وسلم » .

ويشير مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية إلى هذه الوصية بشكل آخر ، فيقولون : « إنهم (الفقراء) كأشجار الزيتون بعضها ضعيف وبعضها كبير ، فمن لا زيت فيه فأنا زيته(٣) » .

---

(١) ولا تزال آثار تلك الوصايا قائمة بين الناس حتى اليوم ، وخاصة ما امتازت به من روح التواضع وعدم التكلف ، الامر الذي يدل عليه المثل السائر « خل البساط أحمدى »

(٢) الجواهر : ص ٥٦ (٣) المجلد الاول : ص ٤٦٨

ثم يدعون أنهم لم يفهموا تلك الوصية ولم يدركوا ماتضمنته من المبادىء التعليمية السامية ، ويذكرون فى نفس الوقت أنها تخالف قول يوحنا المعمدان فى الإصحاح الخامس عشر ، الفقرة الثانية .

وبالرجوع إلى إنجيل يوحنا المشار إليه ، نراه يقول فى الاصحاح الخامس عشر فى الفقرتين الأولى والثانية مايلى : « أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرّام ، كل غصن فىّ لايأتى بثمر ينزعه ، وكل مايأتى بثمر ينقيه ليأتى بثمر أكثر » .

ثم يقول فى الفقرتين السادسة والسابعة مايلى : « إن كان أحد لايثبت فىّ يطرح خارجاً كالغصن ، فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق ، إن ثبتم فىّ وثبت كلامى فيكم تطلبون ماتريدون فيكون لكم (١) » .

ويظهر من الموازنة بين القولين أن البدوى كان زيتا لمن ليس به زيت ، أى أنه لايدع تلميذه الضعيف أو زيتونه الصغير يجف ويموت بين براثن الجهل ، بل كان يهب حياته لتعليم تلاميذه ، ويهىء لهم من الفرص مايناسب استعدادهم العقلى وقدرتهم على قبول تعاليمه السامية ، وهو مايعبر عنه بمبدأ (تكافؤ الفرص) فى العصر الحديث ، وهو مبدأ شعبى عام يتفق وتعاليم الدين الاسلامى الذى جاء للناس كافة .

أما مانص عليه الانجيل ، فهو ملخص للنظرية المسيحية للتعليم فى العصور الوسطى ، عندما كان التعليم مقصوراً على طبقات خاصة ، كرجال الدين والاشراف والفرسان . أما من عداهم من عامة الشعب ومن ليست لديهم

---

(١) انجيل يوحنا ، طبعة جمعية التوراة الامريكية : ص ٩١

القدرة على تفهم العلم ، فقدحرموا نوره ، وحيل بينهم وبين مورده العذب ، فاعتبروهم كالأغصان الجافة التى تعد لتكون حطاماً للنار وبئس المصير .

وكان شعار الأحمدية الملابس الحمر (الخرقة الحمراء) ، إتخذوها عن أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه كانت له حلة حمراء ، ولأنه « قدّم لواء بنى سليم يوم فتح مكة على بقية الألوية وكان أحمر(١) » .

وكذلك كان اللون الأحمر شعاراً لبعض الفرق الفلسفية فى الاسلام من غير المتصوفة

وقد كان للأحمدية علم أحمر لا يحمله إلا من توافرت فيه شروط خاصة تدل على عناية الأحمدية بأمور الأخلاق والدين ، ومنها : ألا يكذب ، ولا يأتى بفاحشة ، غاض البصر عن المحارم ، طاهر الذيل ، عفيف النفس ، خائفا من الله ، عاملا بكتابه ، ملازماً للذكر ، دائم الفكر .

وعن الطريقة الأحمدية نشأت عدة طرق كالشعيبية ، والشناويةوالبيومية نسبة إلى (البيوم) (٢) مقر الشيخ على البيومى شيخ هذه الطريقة . وقد بلغت الفرق المتشعبة عن الأحمدية - كما أسلفنا - نحو أربع عشرة فرقة ، كانت كل منها نواة لجماعات صوفيه كثيرة ، لا يزال بعضها باقياً إلى اليوم .

****

---

(١) الجواهر : ص ١٥

(٢) احدى قرى مركز ميت غمر بمديرية الدقهلية .

٤ — مؤلفات البدوى وقيمتها :

لا ريب أن البدوى قد سجل ثمرات عقله فى عدة مؤلفات ، اختص بعضها بالتصوف السنىّ ، واتصل البعض الآخر بالفقه الشافعى الذى اهتدى بهديه .

إلا أن هذه المؤلفات لم يصل الينا منها إلا النزر اليسير مما حافظ عليه السلف الصالح ، ومن المؤلم حقاً أن يكون كثير من هذا القليل لا وجود له إلا فى دور الكتب الأجنبية ، وخاصة فى باريس وبرلين وجوتا وليبزج والآستانة .

ولعل سبب ضياع هذه المؤلفات وخروج بعضها من بلادنا ، يرجع إلى فتح سليم الأول العثمانى لمصر سنة ٩٢٣ ﻫ (١٥١٧ م) ونقله معه — عند ما عاد إلى الآستانة — كل ما عثر عليه من كتب ومؤلفات ، وتحف ونفائس ، كانت ولا تزال تفخر بها متاحف الآستانة ، والمتاحف الأوربية التى شاركتها فى ذلك التراث الخالد والارث المجيد .

ولهذا ، فلا عجب إذا كان مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية هم أول من كتبوا عن تاريخ السيد أحمد البدوى بصورة لم يسبق لها مثيل ، مدعمين آراءهم بالمراجع والأسانيد ، التى كانت خير عون لنا فى بحثنا عن تاريخ هذا الولىّ العظيم (١).

---

(١) راجع ما أشارت اليه دائرة المعارف الاسلامية من مراجع لتاريخ البدوى (المجلد الاول : ص ١٦٥ وما بعدها) .

ومن أشهر مؤلفات البدوى ، التى أشار إليها مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية ، وهدانا إليها البحث هى :

« صلوات » : وهى مجموعة من الأدعية والصلوات وضعت للأتباع والمريدين ، وقد شرحها ونشرها « عبد الرحمن بن مصطفى عيدروس » ، أحد مشاهير الصوفية فى القرن الثانى عشر (الثامن عشر الميلادى) ، فى رسالة جديدة بعنوان « فتح الرحمن » وذلك بين سنتى ١١٣٥ ، ١١٩٢ ه‍ ، وهذه الرسالة مسجلة بدار الكتب الملكية بالقاهرة (١) » .

« وصايا » : وهى مجموعة من الوصايا والعظات ، فى شكل جمل وعبارات عامة ليس لها طابع شخصى ، ولكنها تتفق مع آراء البدوى الصوفية ، وقد وجهها إلى عبد العال ، لتكون دستوراً له وللأتباع والمريدين من بعده ، ينسجون على منوالها ، ويترسمون خطاها (٢) .

كتاب « الإخبار فى حل ألفاظ غاية الاختصار » ، وهو مخطوط كتبه شخص يدعى ابراهيم سنة ٦٣٩ ه‍ ، أى بعد نزول البدوى بطنطا بسنتين ، ويرجح أن يكون ابراهيم هذا هو أحد المريدين الذين كانوا يكتبون للبدوى رسائله ومؤلفاته .

وبهذا الكتاب شروح طويلة فى الفقه ، والمعاملات ، والأحوال الشخصية على مذهب الإمام الشافعى . وقد أشار إليه الظواهرى فى

---

(١) فهرس دار الكتب الملكية : ج ٧ ص ٧٨ .

(٢) سبقت الاشارة الى بعض هذه الوصايا اجمالا وتفصيلا .

مذكرته (١)، فقال :

« ويظهر أنه (البدوى) قد بلغ من الأهلية العلمية مبلغاً كبيراً ، فإنه قد عثر على مؤلف فى مذهب الإمام الشافعى منسوب إلى سيدى أحمد البدوى » .

وقد ورد للبدوى (حزب) مختصر خاص به ، كما ورد لغيره من متصوفة عصره ، وقد جاء به ما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم - ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ... (إلى آخر السورة) ، اللهم اكفنيهم بما شئت ، اللهم إنى أعوذ بك من شرورهم ، وأدرأ بك فى نحورهم ، بك أحاول ، وبك أقاتل ، اللهم واقية كواقية الوليد ، بكهيعص كفيت ، حم عسق حميت ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وصلى الله على سيدنا محمد النبى المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين(٢) » .

****

(١) مذكرة الظواهرى بمناسبة زيارة الخديو عباس حلمى الثانى لطنطا : ص ٥ .

(٢) راجع مجموعة الاوراد للسيد محمد عبد الرحيم : ص ٣٨ و ٣٩ (طبع سنة ١٣١٢ هـ) .

الفصل الثامن

حياة البدوى الروحية

١ ـ قدرة البدوى الروحية :

كانت حياة البدوى الروحية أصدق مثل لأولئك الصوفية الأطهار « الذين امتلأت قلوبهم بالحب الربانى وتهذبت نفوسهم حتى سمت إلى مرتبة الفيض الالهى ، فلم يكونوا من طلاب الجنة ، بل كانوا من عشاق رب الجنة ، وشتان بين من يصافى المالك ومن يتعلق بالمملوك(١) » .

كما كانت حياته صورة لأولئك الصوفية الأبرار « الذين صيرهم الحب الربانى أقباساً روحية ، وجعل حياتهم أوتاراً دقاقاً تصدح بأعذب الألحان فى عالم الأرواح والأذواق(٢) » .

وأمثال هؤلاء المتصوفة قد كثر أتباعهم ، والتف حولهم مريدوهم ، « لأنهم عرفوا كيف يتوجهون إلى الجماهير فيخاطبونها بلغة القلب والروح التى هى أعذب وأيسر من لغة العقل والمنطق(٣) .

وسط هذا التسامى الروحى ، وحول منهل هذا الفيض الإلهى ، كان للبدوى

---

(١) مقتبسة من التصوف الاسلامى : ج ١ ص ٤٦ (٢) المرجع السابق .

(٣) مقتبسة من دروس فى الفلسفة : ص ٧٨

القدح المعلى ، والنصيب الأوفر ، فكان يأتى إليه الرجل ، وقد علته الكآبة وأسقمه المرض ، فيخرج من حضرته وقد امتلأ قلبه بالحب الربانى ، وسلمت نفسه من الرجس والدنس ، فيوجهه حيث شاء على بركة الله ، فلا يلبث إلا أن يكون شيخاً بين أهله وعشيرته ، ينشر مبادىء أستاذه البدوى على طريقته الأحمدية .

ويصف الظواهرى قوة البدوى الروحية فيقول(١) :

« ولسيدى أحمد البدوى (رضى الله عنه) فى هذه التربية الروحية القدح المعلى ، والنصيب الأوفر ، فقد تواتر أنه كان يأتى إليه الرجل البسيط القروى فلا ينقلب إلى أهله إلا وقد امتلأ بالحب الربانى ، والكمال النفسانى ، وتحول من الحيوانية إلى الملكية الإنسانية ، ولا يعلم إلا الله قدر من انتفعوا على يديه من هذه الوجهة مباشرة أو بالواسطة » .

****

٢ — ألقاب البدوى :

كانت لأحمد عدة ألقاب مختلفة المعنى ، متفقة المرمى ، ذات قيمة عظيمة فى تفسير حالاته وبيان صفاته ، فهى تدل بصفة قاطعة على أنه لم يكن إلا صوفيا شغله التصوف عن كل شىء ، فنسى كل شىء إلا ربه ، ولم يطمع فى شىء الا فى رضائه جل وعلا .

وقد أجمع فلاسفة التصوف على ما لتلك الألقاب من دلالة صوفية

---

(١) مذكرة الظواهرى : ص ٩

- ٨٧ -

لا مراء فيها ، فضلا عن أنه من المسلم به نظريا أن الصوفى الحقيق لا يبغى الدنيا وزينتها ، ولا يجوز لنا أن نفسب لمثله غير ذلك .

ولم يكن أحمد ليتخذ هذه الألقاب أو بعضها ستاراً يخفى وراءه أغراضاً سياسية ، أو آمالا وأمانى دنيوية ، كأولئك الذين ادعوا التصوف لأغراض فى نفوسهم ، فافتضح أمرهم ، وخسروا الدنيا والآخرة .

وإليكم ألقاب أحمد التى اشتهر بها طول حياته ، مع توضيح قيمة كل منها من الوجهتين الصوفية والتاريخية :

السيد : ومعناه الرئيس أو الزعيم ، وقد اشتهر به زعماء الشيعة وبخاصة الاسماعيلية منهم ، الذين كانوا يسمون رئيسهم « السيد » أو « سيدنا » أو « شيخ العرب(١) » .

وكان لقب « السيد » كثير الذيوع بين العرب وخاصة فى شمال إفريقية ، حيث نشأ البدوى نشأته الأولى ، وقد انتشر هذا اللقب أيضاً فى الأندلس منذ نهاية القرن الحادى عشر الميلادى(٢) .

« البدوى » : نسبة إلى سكنى البادية ، حيث درجت أسرة أحمد ، وحيث عاش أجداده زمناً طويلا ؛ ويرجع أصل هذا اللقب أيضاً إلى أن أحمد كان يضع لثامين على أسفل وجهه جرياً على عادة البدو فى شمال إفريقية من المرابطين الملثمين من البربر .

ويطابق ذلك ما رواه الرواة عن تعليل لفظ « البدوى » ، فقال عبدالصمد

---

(١) صلاح الدين وعصره : ص ٤٠

(٢) راجع تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين : ص ١١١

« وعرف أحمد بالبدوى لملازمته اللثام وكان يلبس لثامين لا يفارقهما (١) » .

الملثم : وهو متصل بلقب البدوى الذى سبقت الإشارة إليه ، ولكن لما كان بعض العرب لا يضعون اللثام ، فقد خص بدوينا بالملثم تمييزاً له عن أولئك البدو الذين لا يضعون اللثام .

ويسمى اللثام أيضاً « الكنبوش » وقد عرفه المستشرق « دوزى » بقوله : « والكنبوش ، بفتح الكاف ، اللثام الذى يستعمله أهل بلاد المغرب لتغطية الوجه من الذقن إلى الخيشوم ، اتقاء لبرودة هواء الصباح ورطوبته (٢) » .

وقد كان الكنبوش من الملابس السلطانية عند المماليك بمصر ، وإذا خرج السلطان للصيد فى إحدى جهات الريف ؛ كان الكنبوش من الهدايا النفيسة التى يقدمها لرجال بلاده من الأعيان وعلية القوم ، كما روى على مبارك باشا (٣) .

الفتى : وكنيته (أبو الفتيان) ، وهما من الفتوة ، التى كانت من أعظم مظاهر الشجاعة عند شباب ذلك العصر ؛ فقد كان الشبان يتبارون فى ركوب الخيل والصيد بالبندق(٤) ، وإذا اشتهر أحدهم بأعمال الفتوة ألبس ملابسها ، ولقب بالفتى وكنى بأبى الفتيان .

---

(١) الجواهر : ص ٥

(٢) السلوك : ج ١ قسم ٢ ـ ص ٤٤٠

(٣) الخطط التوفيقية : ج ١٢ ص ٣٤

(٤) البندق قطع من الطين الجاف تضرب به النبال ، وكانت توضع في كيس يعرف باسم فارسى هو (البندقدار) ، وحامله هو (البندقدارى) ، وإليه نسب الظاهر بيبرس من المماليك البحرية

غير أن للفتوة عند الصوفية معنى آخر ؛ فهى «خمود حرارة القلب اللازمة للبداية»(١) . ويصفها محي الدين بن عربى فيقول :

«للفتوة مقام القوة وهى حالة بين الطفولة والكهولة ، أى من زمان البلوغ إلى سن الأربعين ، وفيها يسمى الشاب فتى ، وأصحاب حالة الفتوة ومقامها يسمون الفتيان ، وهم أهل علم وافر ... ، ولا تصدر عنهم أية حركة عبثاً (٢)» .

ولقد اشتهر البدوى بالشجاعه التى هى دليل الفتوة المادية كما أنه كان به من الزهد والورع والعلم بأمور الدين ما هو دليل الفتوة الصوفية ، فحق له أن يلقب بالفتى ويكنى بأبي الفتيان من الوجهتين المادية والروحية .

العطاب : وله معنيان ، أحدهما مرتبط بالفتوة المادية وما يتصل بها من شجاعة الفارس ، وقدرته على إصابة غريمه بالعطب والهزيمة فى حلبة السباق والنزال ، والآخر متصل بالفتوة الصوفية ، إذ العطب فى نظر المتصوفة مايقع من الضرر لمعارضيهم ، وخاصة من يمسهم بأذى أو ينالهم بسوء .

والعلاقة قائمة بين الفتوة والعطب ، سواء أكانت مادية أم روحية ، وقد روى عبد الصمد عن ابن حجر العسقلانى (٣) ، أن أحمد «اشتهر بالعطاب لكثرة ما كان يقع لمن يؤذيه من الناس(٤)» .

---

(١) التصوف الاسلامي : ج ٢ ص ٤٧٨ (٢) الفتوحات المكية : ج ١ ص ٢٤١

(٣) جاء في دائرة المعارف الاسلاميه أن ابن حجر كتب فصلين من تاريخ البدوى ، وقد سجلا بفهرس مكتبة برلين بالجزأين ٣ ٦٢

(٤) الجواهر : ص ٥

ويقول حسن ، أخو البدوى ، فى هذا الصدد :

« ولم يكن فى مكة والمدينة من الفرسان أشجع ولا أفرس من أخى أحمد ، فسميته العطاب محرش الحرب(١) » .

الزاهد : لازم هذا اللقب أحمد منذ صغره كما قدمنا ، فاشتهر به فى بلاد المغرب عند ما ألبسه الشيخ عبد الجليل النيسابورى خرقة التصوف فى فاس وهو لا يزال فى المهد صبياً ، وفى ذلك ، يقول أبو السعود الواسطى : « وكان يدعي وهو صغير بأحمد الزاهد (٢) » .

القطب : أسمي وأعظم ألقاب الصوفية ، وسمى به أكبر الأولياء بعد الصحابة . ومعناه لغة - كما روى الخفاجي عن أبى البقاء - : « حديدة تدور عليها الرحا ، أو نجم تبنى عليه القبلة ، أو ملاك الشيء ومداره ، وسمى خيار الناس به لاجتماع خيار أوصافهم فيه(٣) » .

أما معناه فى الاصطلاح فهو كل من جمع الأحوال والمقامات ، وهو الغوث الواحد موضع نظر الله فى كل زمان ، وقد يكون واحداً ، وقد يكون لكل بلد قطب ولكل جماعة قطب .

وهنا يظهر التشابه بين نظريتى « المهدى » عند الشيعة ، و « القطب » عند المتصوفة ، إذ يرى الشيعة أن الإمام لا يكون إلا واحداً يجب الخضوع له وإطاعة أوامره ، كما يرون صحة وجود أكثر من إمام واحد ، فلا ضير من الخضوع للمفضول مع وجود الأفضل .

---

(١) الجواهر : ص ١٢ (٢) الجواهر : ص ٥ (٣) النفحات : ص ٤٤

والحقيقة « أن الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالا وثيقاً ، وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدى وصاغتها صياغة جديدة ، وسمته قطباً . . . . ، وهو نظير الإمام أو المهدى فى التشيع (١) » .

وقد أفاض ابن عربى فى وصف القطب واعتبر القطبية مظهراً من مظاهر النبوة (٢) . ويتفق ذلك مع قول البدوى لعبد العال فى إحدى وصاياه : « إعلم أن منزلة الشيخ فى قومه كمنزلة النبى فى أمته (٣) » .

ولقد حصل البدوى على درجة « القطبية » التى أعد نفسه لها منذ نعومة أظفاره كما قدمنا ، لذلك حق لنا أن نسميه قطباً ، وقد اعترف له بذلك مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية فقالوا : « ويعتبر أحمد البدوى ، منذ أجيال ، قطباً فيما يعرف عادة بالقطابة ، إلى جانب الجيلانى ، والرفاعى ، وإبراهيم الدسوقى (٤) » .

القدسى : نسبة إلى ميل البدوى إلى العبادة والتقديس ، وقد تكون النسبة إلى (قُدس) أى الروح القدس ، ومعناها سمو الروح إلى مكانة الروح القدس كما حدث لعيسى عليه السلام ، وقد تكون لعدم إقبال البدوى على الزواج ، وميله إلى العبادة كما روى ابن حجر العسقلانى (٥) .

الصامت : مال البدوى ، وهو بمكة بعد عودته من العراق ، إلى الصمت ، فكان لا يتكلم إلا بالإشارة زيادة فى الزهد ، وتقليداً للرفاعى الذى كان يقول : (أمرت بالسكوت (٦)) .

---

(١) ضحى الاسلام : ج ٣ ص ٢٤٦ (٢) الفتوحات المكية : ج ١ ص ١٥١
(٣) الجواهر : ص ٥٧ (٤) المجلد الاول : ص ٤٦٩ (٥) الجواهر : ص ٥
(٦) الطبقات : ج ١ ص ١٩٣

ويعتقد المتصوفة أن الصمت من أهم مظاهر حياتهم ، حتى لا يكون لهم مثل مصير الحلاج ، فللصوفية مبادىء وآراء عميقة ونواح تبدو معقدة ، يجب التريث عند عرضها على الجمهور . وقد جاء فى الحكم : « العبادة عشرة أجزاء ، تسعة فى الصمت ، وواحد فى العزلة (١) » .

الولىّ : وهو المحب أو النصير ، والجمع أولياء ، وفيهم نزل قوله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون (٢) » . وهو لقب عام استعمله الصوفية وغيرهم ، ويرى ابن تيمية : « أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون سواء سمى أحدهم فقيراً أوصوفياً أوفقيهاً أو عالماً أو تاجراً أو جندياً أو صانعاً أو أميراً أو حاكماً أو غير ذلك » باطلاق عام (٣) .

ويظهر أن المتصوفة أدركوا مالهذا اللفظ من المعانى المتعددة ، والدلالات المختلفة ؛ فلم يدخلوه ضمن ألقابهم التى اشتهروا بها ، ولم يشيروا إليه فى مؤلفاتهم إلا قليلا حتى لا يشكل عليهم الأمر ، ولو أن هذا اللقب بلغ من الشهرة والذيوع درجة كادت تطغى على غيره من الألقاب الصوفية التى أشرنا إليها ، ويعلل ذلك اتصاله بنواح أخرى غير التصوف كما ذكرنا آنفا .

مجيب الأسارى من بلاد النصارى : ومعناه منقذ الأسرى من أيدى الصليبيين ، ولذلك دلالة خاصة فى تاريخ ذلك العصر الذى عاش فيه البدوى بمصر ، وهو النصف الأول من القرن السابع الهجرى - الثالث عشر الميلادى ،

---

(١) القنية : ج ١ ص ٣٦ (٢) القرآن الكريم : سورة يونس - الآيتان ٦٢ ، ٦٣

(٣) الصوفية والفقراء : ص ٢٥

فقد تعرضت مصر فيه لهجوم الصليبيين عليها أكثر من مرة (١)، وقامت الحرب سجالا بين المسلمين والصليبيين بالديار المصرية، ووقع بعض المسلمين فى أسر الفرنجة، ورغب بعض المتصوفة فى إنقاذهم على سبيل العطف الإنسانى وإظهار الكرامة.

وقد روى السيوطى أنه «تؤثر عن البدوى كرامات وخوارق، أشهرها قصة المرأة التى أسر الفرنج ولدها، فلاذت به فأحضره إليها فى قيود (٢)». وقد نسب إلى الرفاعى مثل هذا العمل قبل أن ينسب إلى البدوى، وفى ذلك يقول الرفاعى:

سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها ... تفك الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول ففى القتل راحة ... ولا هو ممنون عليه فيطلق (٣)

وهناك قصة أخرى رواها الشعرانى ونقلها عنه عبد الصمد، وتتلخص هذه القصة فى أنه شاهد بعينيه سنة ٩٤٥ هـ أسيراً مقيداً على منارة سيدى عبد العال، فلما ذهب إليه وجده فى حالة ذهول، بعد أن أنقذه البدوى بأعجوبة (٤). ورواية الشعرانى للقصة مضطربة ومبالغ فيها، كما هى عادته، فقصة - الأسير أصلا - نسبت إلى البدوى فى حياته ولم تنسب إليه بعد مماته إلا على لسان الشعرانى.

وتتصل بهذا اللقب عبارة عامية انتشرت بين أفراد الشعب المصرى،

---

(١) عاصر البدوى احدى هذه الحملات وأعظمها شأناً وهى حملة لويس التاسع (١٢٤٨ - ١٢٤٩)

(٢) حسن المحاضرة: ج ١ ص ٣٠٠ (٣) الوفيات: ج ١ ص ٥٥

(٤) راجع تفصيل تلك القصة بالجواهر ص ٢٢ ، الطبقات: ج ١ ص ٢٥١

وتناقلتها الألسن عدة قرون ، كانت دليلا قاطعا على ظهور هذا اللقب ، وما كان له من حقيقة إلى حد ما ، وها هى ذى العبارة :

« الله الله يابدوى جاب اليسرى » : وتفسيرها ، أشكر الله الذى منّ عليك يا بدوى وساعدك على المجىء بالأسرى ، وتخليصهم مما كانوا فيه من ذل وخنوع .

ولانزال نرى حتى الآن بالموالد السنوية للبدوى جماعه قد لبسوا الخوذات وقيدوا أنفسهم بالسلاسل والأغلال ، تشبها بما كان عليه الأسرى قديما عند ما كانوا يلوذون بالفرار من معسكرات الاعتقال وهم بملابس الأسر .

مفرج الكروب : (وكنيته أبو فراج أو أبو الفرج) : وهى من الألقاب والكنى التى تفسر ناحية من نواحى حب التوسل عند البدوى (١) ، فهو الذى يلجأ إليه ليسعى عند الله ورسوله لتفريج الكروب واللطف فى القضاء ، وبخاصة إذا سلمنا بقبول أهل السنة للشفاعة وحدوثها حقا ، وقد عُرف البدوى بأنه : « أكبر أولياء مصر ومفرج كل الكروب منذ عهد طويل (٢) » .

وهناك ألقاب أخرى اشتهر بها البدوى كالسطوحى ، نسبة إلى سكنى السطح ، والصالح ، والعارف بالله ، والمعتقد ، وكلها دلائل القوتين الروحية والعلمية ، وقد اشتهر بها المتصوفة فى كل العصور .

****

---

(١) راجع حب التوسل عند البدوى في الموضوع التالى

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الاول - ص ٤٦٨

٣ ـ عادات البدوى :

ولما كانت عادات المرء تنم دائماً عن أخلاقه وآرائه وأفكاره ـ فالإنسان مجموع عادات ، والمرء أسير عاداته ـ كان الرجوع إلى دراسة عادات البدوى من صباه إلى كهولته فى ثبت واضح ، من أهم العوامل التى تفسر لنا بعض ما غمض من نواحى حياته ، وتميط اللثام عما أحاط بقدرته الروحية من الغموض والإبهام . وإليكم بعض العادات :

العبادة بالصيام : روى السيوطى أن البدوى لازم الصيام وواظب عليه حتى كان يطوى أربعين يوماً لا يتناول فيها طعاماً ولا شراباً ، وهو فى أكثر حاله شاخص البصر إلى السماء ، وعيناه كالجمرتين ، وذلك بعد رجوعه من العراق إلى مكة ، ثم زاد على ذلك ـ بعد ما دخل مصر ـ القيام على السطح ، والصياح أحياناً إذا عرض له الوله (١) .

العبادة بالقيام : وقد كان البدوى يقوم الليل يتلو القرآن ويقيم الصلاة ، لأنه كان يرى ـ كما أشار فى وصاياه لعبد العال ـ « أن كل ركعة بالليل أفضل من ألف ركعة بالنهار(٢) » .

وقد ذكر الجيلانى أن صلاة آخر الليل وعبادته مشكورة ، وقد دعم رأيه بما يعتقده المتصوفة السنيون من آراء مستمدة فى مجموعها من الكتاب والسنة (٣) .

---

(١) حسن المحاضرة : ج ١ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ (٢) الجواهر : ص٥٦

(٣) راجع تفصيل ذلك بالغنية للجيلاني : ج ١ ص ٦٤ وما بعدها .

عدم العناية بالملبس : وهو مظهر من مظاهر الزهد فى الدنيا وزينتها ، لجأ إليه البدوى متابعة للرفاعى ، الذى انتهت إليه الرياسة فى علوم الطريق وشرح أصول القوم ، وشغف به البدوى فزار قبره وأتباعه بالعراق كما بينا .

ومن أقوال الرفاعى المأثورة فى هذا الصدد ، قوله : « أحب لجميع أصحابى الجوع والعرى والفقر والذل والمسكنة ، وأفرح لهم إذا نزل بهم ذلك » . كما كان يقول :

فلست أبالى من زمانى بريبة إذا كنت عند الله غير مريب(١)

حب التوسل : نشأت هذه العادة مع البدوى لأنه - فى الأصل - من عرب البادية الذين يعتزون بشخصيتهم وكرامتهم ، ويعتدون بأنفسهم إلى حد بعيد . وقد تأصلت فى نفس البدوى تلك العادة بعد أن اشتهر أمره بطنطا ، وكثر حوله الأتباع والمريدون ، ونصره الله نصراً مبيناً(٢) ، فعبر عما كان يخالجه من روح الاعتزاز بالنفس والثقة بالله ، بقوله : « سواقىّ تدور على البحر المحيط ، ولو نفد ماء سواقى الدنيا كلها ، ما نفد ماء سواقىّ (٣) » ، وفى ذلك إشارة إلى كثرة الأتباع الذين كانوا يستهلكون من مياه الساقية ما بلغ حداً عظيماً ، انتهى به إلى التعبير عنه بهذه العبارة ، وهى دليل الشكر وعلامة رضا الله عنه(٤) .

غير أن التوسل بأحمد خالطته عناصر مصرية قديمة ، كما قرر بعض

---

(١) الطبقات : ج ١ ص ١٩٢ (٢) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الاول ص ٤٦٦ .

(٣) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٧ (٤) ظلت هذه الساقية قائمة في الجهة الشمالية الغربية للمسجد الاحمدي حتى عهد قريب ، ثم ردم البئر ورفعت الساقية لعدم الحاجة اليها فقد مدت أنابيب المياه الحديثة الى داخل المسجد .

المستشرقين أمثال « ماسبيرو » و « إيبرز » و « جولد زيهر » (١). ويبدو ذلك صحيحاً إذا علمنا أن أهل مصر قد اعتادوا زمن الفراعنة التوسل بآلهتهم وملوكهم ، ونسجوا القصص والأساطير حولهم ، حتى فاضت بها كتبهم الدينية وحفل بها أدبهم القومى .

ولما ظهرت المسيحية بمصر ، وانتشرت الرهبنة بسبب ظلم الرومان الوثنيين للمسيحيين ، تشكلت الأساطير الدينية بلون آخر ، وشاع بين رجال الدين المسيحى من الكرامات وخوارق العادات الكثير(٢) .

ولما دخل الإسلام مصر نهى عن كل ذلك ، فصدع المسلمون بالأمر ، وظلوا على ذلك زمناً طويلا ، ولكنهم ما لبثوا أن رجعوا إلى قديم عاداتهم وسابق تقاليدهم ، فللبيئة أثرها ، وللتقاليد سلطانها ، فأخذوا ينسجون من خيالهم الخصب أقاصيص حول زعمائهم المسلمين من العلماء أو المتصوفة ، وخاصة الفئة الأخيرة ، التى كان أفرادها أشد اتصالا بالعامة من غيرهم ، فضلا عن أن دراستهم الصوفية تبعث على الخيال لاتصالها بأمور فوق طاقة عقولهم وأبعد من مدى تفكيرهم .

ولم يسلم تاريخ البدوى من تلك القصص ، فقد سيطرت قوته الروحية على عقول كثيرين ، وظنوا فيه القدرة على أن يأتى بالمستحيل ، فيحيي الموتى ويشفى الأبرص والأكمه ، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقبضه عمن يشاء . ولكن حاشاه أن يفعل ذلك ، وهو الذى يقول لعبد العال : « إنى أساعد الفقراء

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الاول ص ٤٧٠ .

(٢) من أمثلة ذلك نبوءات الانبا شنوده وكرامات القديس مار جرجس

لا بحولى ولا بقوتى ، ولكن ببركة النبي صلى الله عليه وسلم (١) » .

ولقد أطلق الشعرانى العنان لنفسه عند ما كتب عن تاريخ البدوى ، فاستسلم لسلطان الأساطير ظناً منه أنه إنما يشيد بذكره ويعلى من قدره . ولكن النتيجة كانت عكسية ، فقد شوهت كتاباته جمال تاريخ هذا الولى العظيم ، وأبعدت عنه كثيراً من أهل العلم والورع (٢) .

ولا يزال بعض عامة المصريين متأثرين بمثل تلك الأساطير ، فيرى البعض أنه لزام عليهم أن يمروا بضريح البدوى صباح مساء ليضعوا أيديهم فى ثقب فى جانب المقصورة الغربى ثم يضعونها فى جيوبهم تبركا ورغبة فى بسط الرزق ، وغير ذلك من المظاهر التى لم يكن للبدوى دخل فيها ، وإنما تناقلتها الأجيال بتأثير البيئة وبحكم التقاليد على مر الأيام ، حتى لقد صار التوسل والوساطة ملجأ لكثير من المصريين فى شئونهم المختلفة فى العصر الحاضر .

****

٤ - كرامات البدوى :

ولما كان البدوى قد اشتهر بقوة الروح وصفاء النفس ، فإن التوفيق كثيراً ما كان يصادفه فيما يطلبه من الله ، وما يرجوه لنفسه ولأتباعه ، وهو يؤمن كغيره من الصوفية الأطهار أن الله قريب يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ، ولاسيما إذا كان هذا الداعى من عباده المخلصين ، وخلقه الصابرين الشاكرين ،

---

(١) الجواهر : ص ٥٦

(٢) سيظهر ذلك بوضوح فى موضوع الكرامات

فضلا عن أن الله قد عم أولياءه ومحبيه برضاه ، واختصهم بقربه ، وأفاض عليهم من روحه . وقد روى البخارى مصداقا لذلك عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

« يقول الله تعالى - من عادى لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة ، وماتقرب إلى عبدى بمثل ما افترضته عليه - ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإن أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، فبي يسمع ، وبى يبطش ، وبى يمشى ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذ بى لأعيذنه (١) » .

ويفسر ابن تيمية هذا الحديث فيقول : « ومعنى هذا أن الولى يصل إلى درجة الإحسان التى هى كمال الإسلام والايمان ، والتى فسرها النبي (صلى الله عليه وسلم) فى حديث أسئلة جبريل عن صحيح مسلم بقوله : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك ، والمراد أن هذه المراقبة والحضور القلبي فى الصلاة وغيرها من ذكر الله ، تغلب على القلب حتى يشعر صاحبها بأن الله الناظر إليه هو المصرف له فى جميع حركاته الظاهرة والباطنة (٢) » .

وقد عبر ابن عربى عن هذا المعنى فقال :

يا من يرانى ولا أراه كم ذا أراه ولا يرانى

وكان من أدلة رضا الله عن البدوى أن ظهرت له عدة كرامات نذكر

---

(١) الصوفية والفقراء : ص ٥٦

(٢) الصوفية والفقراء : ص ٢٧ والغنية للجيلانى : ج ١ ص ٧٠

بعضها على سبيل المثال - لا على سبيل الحصر - مؤمنين بأن حدوثها إنما هو من باب التوفيق ، واستجابة الدعاء من قلب مؤمن راسخ الايمان ، فمنها :

ماحدث للشيخ ركن الدين التاجر بطنطا من غنى وثراء ، لنزول البدوى بمنزله . كما مر بنا .

وما رواه السيوطى من كراماته فى قصة المرأة التى أسر الفرنج ولدها فلاذت به ، فأحضره إليها فى قيوده ، وقد أشرت إليها من قبل .

ثم قصة الرجل الذى مر به وهو يحمل قربة لبن فأومأ اليها البدوى بأصبعه فانقدت وانسكب اللبن وخرجت منه حية قد انتفخت(١) ». وبذلك حفظ الناس من شر هذا اللبن المسموم بحول الله وقوته ، وتوفيقه ورضاه .

وكذلك ما يحدث كل سنة من نجاح موالده نجاحاً ليس له نظير فى أية جهة أخرى ، وما يفيض على زواره من الايمان والاطمئنان إذا أخلصوا فى زيارتهم .

وقد أفاض الشعرانى وعبد الصمد (٢) ، ومن نقل عنهما ، فى الاشارة إلى كثير من كرامات البدوى ، التى اصطبغ معظمها بالصبغة الأسطورية فأساءت إليه وإلى رواتها أكثر مما أحسنت إليهم جميعاً ، وذلك لأن التصوف الاسلامى اتصل بالاسرائيليات التى دخلت فى الاسلام عن طريق رواة اليهود ، ومن سار سيرتهم مثل كعب الأحبار ووهب بن مُنبه (٣) .

---

(١) حسن المحاضرة : ج ١ ص ٣٠٠

(٢) الجواهر : ص ٤٥ والطبقات : ج ١ ص ٢٤٥

(٣) فجر الاسلام : ص ١٩٨ والسيادة العربية والشيعة والاسرائيليات : ص ١٠٧

وقد تأثر تاريخ البدوى بهذه الاسرائيليات تأثراً عظيماً فنسجت حوله بعض القصص المتصلة بتصوفه وكراماته ، كقصة اللثامين : إذ سأل عبد المجيد - شقيق عبد العال - أستاذه البدوى أن يرفع لثامه ليرى وجهه ، فحذره البدوى قائلا : « كل نظرة برجل » ، فلما أصر عبد المجيد على طلبه ، كشف له البدوى لثامه الأعلى فصعق(١) .

وتشبه هذه القصة قصة « ابن جلا » التى لم يعرف العرب القدماء معناها ومبناها ، وقد رواها الطبرى والبيضاوى(٢) ، وتأثر بها الحجاج الثقفى عندما ولى العراق ، فأرهب العراقيين بقوله المشهور :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفونى

ولعل « ابن جلا » هذا بطل من نسج خيال العرب على غرار بطل طروادة فى تاريخ اليونان القديم .

ولقد روى الشعرانى من هذا النوع قصصاً كثيرة منها : ما حدث له عند ما امتنع عن حضور المولد الأحمدى ، فقابله البدوى بنفسه فى القاهرة وطلب إليه أن يحضر المولد ، ولا بد ، متغلباً على كل ما يعترضه من عقبات فى سبيل الزيارة (٣) .

ومن العجب أن يوجه مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية اللوم اللاذع للبدوى على ما فعل ، ويمتدحوا الشعرانى على ادعائه وخياله الخصب الذى بعث به البدوى من مرقده فى صورة إنسان ، وقد فارق الحياة منذ ثلاثة قرون

---

(١) الجواهر : ص ١٧ ودائرة المعارف الاسلامية : المجلد الاول ص ٤٧٠

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الاول ص ٤٧٠   (٣) الطبقات : ج ١ ص ٤٢٩

ثم نسب إليه ما هو منه برىء ، وما لا يتفق مع روح التصوف ، وما يتصل به من التسامى الروحى(١) .

وهذه القصص التى رواها الشعرانى لا تضير البدوى ، بل توضح الدرجة التى انحدر إليها التصوف الاسلامى فى مصر فى عصر الشعرانى (القرن العاشر الهجرى) ، كما تدل على مقدار تأثر التصوف بالنظريات الدخيلة عليه ، كتناسخ الأرواح وانتقالها بعد الممات من مصير إلى مصير ، يختلف نعيما وشقاء باختلاف أعمال صاحبها فى حياته الدنيا .

ومن دلائل التوفيق أن الشعرانى فى كتابه « لطائف المنن » (٢) يؤكد ما ذهبنا اليه من الانحلال الخلقى ، والاضطراب الفكرى اللذين سادا ذلك العصر ، وتعتبر أدلة ضده وليست له .

نستخلص مما سبق أن ما كان عليه البدوى من الدرجة العلمية والقدرة الروحية ، إنما هو صورة صادقة لعصره ، وإن فيما درسناه من مبادئه وآرائه وما أشرنا اليه من مؤلفاته ، وعاداته وكراماته ، لهو خير شهيد ، وأقوى دليل على صحة ما قصدنا إليه فى هذا السبيل . وإن من الحكمة وحسن التقدير أن ينظر الباحث إلى العصر الذى يكتب عنه بمنظار العصر نفسه ، وأن يكون حكمه قائماً على قاعدة « القياس مع الفارق » ، فيعطى ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

* * * *

---

(١) المجلد الاول ص ٤٧٠

(٢) هو مؤلف نفيس كتبه الشعراني يصف فيه الحالة الاجتماعية بمصر فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، ويعتبر من أحسن ما كتب .

الفصل التاسع

علاقة البدوى بمعاصريه من حكام مصر

استقر البدوى بطنطا منذ وطئت قدمه أرض مصر ، وعاش بها بقية حياته بين سنتى ٦٣٧ و ٦٧٥ هـ (١٢٤٠ - ١٢٧٦ م) ، ولقد عاصره فى هذه الفترة بعض سلاطين الأيوبيين والمماليك البحرية ، ومنهم :

١ - العادل أبو بكر بن الكامل :

ويعرف أيضاً باسم « العادل الثانى » ، وقد استمر حكمه إلى سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) ، وقد حضر البدوى إلى مصر فى عهده الذى اشتهر بالفوضى والاضطراب ، والتأخر والانحلال ، فقد كان العادل شاباً مستهتراً ، يخالط الشبان ويقتل معهم وقته فى اللهو واللعب ، فخلت خزانة الدولة من المال وعم الفقر البلاد ، لذلك خلع وتولى بعده أخوه الصالح نجم الدين أيوب (١) .

وإذا كانت للبدوى غايات سياسية بمصر ؛ فإن هذا العهد المضطرب كان أكبر عون له على بذر بذور ثورته ، وجمع أتباعه للوصول إلى غايته ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ولم يظهر له أثر .

* * * *

(١) راجع ثبت الحكام والسلاطين بآخر الكتاب .

٢ - الصالح نجم الدين أيوب :

حكم حتى سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، وفى عهده وقعت حوادث الغلاء - التى سبقت الإشارة إليها - سنة ٦٣٩ هـ . وفى أواخر أيامه هاجم الفرنسيون مصر بقيادة ملكهم « لويس التاسع » سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، وكثر الأسرى من المسلمين والفرنسيين ، فكان ذلك مشجعاً على ظهور قصص جلب الأسرى وتخليصهم من أيدى الفرنجة بفضل الأولياء - كما كان مشهوراً (١) .

****

٣ - المعز عز الدين أيبك التركمانى :

كان فى الأصل نائباً للسلطنة ، ثم استقل بالملك بعد قتل « توران شاه » ابن الملك الصالح أيوب ، وتزوج من شجرة الدر ؛ وظل متربعاً على العرش حتى قتل سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٦ م) ، ويعتبر عز الدين أيبك أول سلطان للمماليك البحرية بمصر .

وفى عهده ثار جماعة من الأعراب بزعامة « حصن الدين ثعلب » عند ديروط بالصعيد ضد المماليك ، واندلعت نيران الثورة فى بعض بلاد الوجه البحرى (بلبيس وسخا وسنهور) ، وذلك سنة ٦٥١ هـ ، وكان الثوار يقولون : « إنا أحق بالملك من المماليك ، وقد كفى أننا خدمنا بنى أيوب ، وهم

---

(١) مات الصالح فى أثناء الحرب فقامت زوجته « شجرة الدر » بدور مشكور فى سبيل نجاح المصريين وهزيمة الصليبيين قرب المنصورة .

خوارج خرجوا على البلاد (١) » .

ولكن المعز شتت شملهم وقضى عليهم ، ولم يعرف عن البدوى أو عن أحد من أتباعه أنه اشترك فى هذه الثورة الشيعية ، أو كان له يد فيها . كذلك لم تكن طنطا - مع توسط مركزها - أحد ميادين هذه الثورة . ولو أن البدوى شاء أن يشترك فيها من قرب أو بعد لأصابه شررها ونالته بعض ويلاتها ، ولكن لم يحدث شيء من ذلك ألبتة .

وفى عهد المعز أيضاً عين « ابن بنت الأعز (٢) » قاضياً لقضاة مصر سنة ٦٥٤ هـ بدلا من « بدر الدين يوسف السنجارى » .

وقد زار « ابن بنت الأعز » البدوى بطنطا فى عهد المعز ليقف على حقيقة أمره ، وليتأكد من بعده عن حوادث « حصن الدين ثعلب » ، أو مايشابهها من ثورات الشيعة التى قد تدبر فى الخفاء ، وخاصة بعد فشلها الأول.

ويصف على مبارك باشا هذه الزيارة فيقول :

« لما سمع قاضى القضاة ، شيخ الإسلام ، تقى الدين (ابن دقيق العيد) بشهرة البدوى وكثرة اعتقاد الناس فيه ، مضى إليه وصعد إلى السطح ، فلما رآه قال فى نفسه : سبحان الله ، ما هذا الاعتقاد من الناس فى هذا الرجل ؟

---

(١) السلوك : ج ١ قسم ٢ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧

(٢) هو تقى الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبى القاسم بن بنت الاعز ، ويسميه المقريزى (تاج الدين) ، ويسميه متصوفة عصره (ابن دقيق العيد) ، لانه كثيراً ما كان يعمل على مطاردتهم والحط من قدرهم ، ويخف الى ذلك مسرعا معتمداً على مركزه الممتاز في الدولة ، وقد عزل من منصبه بعد قتل المعز ، ثم أعيد الي وظيفته فى عهد الظاهر بيبرس ، وبقى فيها حتى مات سنة ٦٦٥ هـ . (راجع السلوك : ج ١ قسم ٢ ص ٤٠٠ ، ٥٦١) .

وما هذه الشهرة ، وليس فيه ما يوجب ذلك ؟ وما هو إلا مجنون من المجانين ، فرفع إليه البدوى رأسه وكشف وجهه وأنشد يقول :

مجانين إلا أن سر جنونهم عزيز ، على أعتابه يسجد العقل

فلما كلمه عرف الشيخ قدره وعظمه ، واعتذر إليه وقبل يده (١) .

وتعتبر هذه القصة أوضح ما رواه الرواة عنها ، وأقلها تعلقا بخيـــال الأساطير ، إذا وازنا بينها وبين روايات عبد الصمد (٢) .

ويروى الشعرانى هذه القصة بصورة أخرى ، ويدخل الشيخ عبد العزيز الدرينى (٣) ، المتوفى سنة ٦٩٧ هـ ، طرفا ثالثا فيها ، وإليكم تلك القصة :

« وواقعة ابن دقيق العيد وامتحانه لسيدى أحمد (رضى الله عنه) مشهورة وهى : أن الشيخ تقى الدين أرسل إلى سيدى عبد العزيز الدرينى (رضى الله عنه) ، وقال له : امتحن لى هذا الرجل الذى اشتغل الناس بأمره ، فإن أجابك فهو ولى الله تعالى . فمضى إليه الدرينى وسأله فأجاب بأحسن جواب » .

ثم يستطرد الشعرانى فيقول : « كان سيدى عبد العزيز إذا سئل عن سيدى أحمد (رضى الله عنه) ، يقول : « هو بحر لا يدرك له قرار (٤) » .

وقد روى عبد الصمد ما رواه الشعرانى نقلا عن السيوطى مع بعض التفاصيل (٥) . وقد نسج على منوالهما على مبارك باشا فذكر القصة بما يتفق مع روايتى الشعرانى وعبد الصمد مع تعديل طفيف (٦) .

---

(١) علم الدين : ج ١ ص ١٣٨
(٢) الجواهر : ص ٢٧ - ٢٩
(٣) راجع ترجمته بالطبقات : ج ١ ص ٢٧٢
(٤) راجع تفصيل القصة بالطبقات : ج ١ ص ٢٥١
(٥) الجواهر : ص ٢٨
(٦) علم الدين : ج ١ ص ١٣٩

وتدل هذه القصص ، مهما اختلفت أساليبها ، على مقدار ما نال البدوى من شهرة فى ميدان التصوف بمصر ، تلك الشهرة التى أثارت لواعج الحقد ، وأيقظت نار الحسد فى قلوب المعارضين له .

كما تدل أيضاً على نزعته الصوفيه السليمة ، التى لم تخالط قط بمظاهر الحكم السياسى ، ولم تتصل بالثورات المحلية مهما كانت أسبابها ونتائجها . وقد ظل البدوى عند موقفه ولم يغيره .

****

٤ - المظفر سيف الدين قطز :

بدأ حكمه نائباً للسلطنة عن « الملك المنصور نور الدين على » ابن المعز ؛ ولكنه مالبث أن استقل بالملك فى ذى القعدة سنة ٦٥٧ ﻫ (١٢٥٨ م) . واستمر حكمه سنة كاملة ، إذ قتل فى ذى القعدة من السنة التالية .

وفى عهده ظهر « الكورانى » وهو شاب طائش ، خرج على الدين بسبب بدع نسبت إليه ، ثم جدد إسلامه بعد أن ضرب ضرباً مبرحا ، وأطلق من الاعتقال فأقام بالجبل الأحمر ، وقد قام بثورة خطيرة فى أوائل حكم الظاهر بيبرس كما سيأتى بعد (١) .

****

---

(١) السلوك : ج ١ قسم ٢ ص ٤٢٠

٥ - الظاهر بيبرس البندقداري :

تولى حكم مصر بعد قتل « قطز » فى ذى القعدة سنة ٦٥٨ هـ ، ولكنه لم يحتفل بشعار السلطنة إلا فى شهر صفر من السنة التالية ، وذلك لتجدد ثورة الكورانى ، الذى أظهر الزهد ، وسكن قبة الجبل ، وتردد عليه الغلمان فحدثهم فى القيام على أهل الدولة ، وأقطعهم الإقطاعات وكتب لهم رقاعاً بها ، كما لو كان صاحب الأمر الحقيقى فى البلاد .

وبدأت الثورة تحت جنح الظلام ، وكان العسكر قد علموا بأمرها ، فأحاطوا بالثوار ، وما انبلج الصبح حتى قبضوا عليهم جميعاً وصلبوهم خارج باب زويلة ، فسكنت الثائرة ، وكان ذلك فى نهاية سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م) (١) .

وكانت تلك الثورة عظيمة الأثر فى سياسة بيبرس فقد حقد على الشيعيين وعلى كل من يمت إليهم بصلة ، وذلك لأن « الكورانى » اتخذ « آل على » شعاره فى ثورته ، وأظهر أنه من الشيعة المتطرفين .

وقد ظهرت بوادر سياسة بيبرس ضد الشيعة عامة بعد ما سقطت الدولة العباسيه فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، ورغب فى إحياء الخلافة العباسية بمصر لتدعيم مركزه دينياً وسياسياً ، وقطع الطريق على العلويين الذين جاهدوا لنيل هذا الشرف منذ سقوط الدولة الفاطمية ، ولكن دون جدوى .

ويثبت صحة ذلك السير وليم موير ، إذ يقول : (٢) « وكان غرض بيبرس

---

(١) راجع تفصيل ذلك في السلوك : ج ١ قسم ٢ ص ٤٤٠

(٢) تاريخ دولة المماليك في مصر : ص ٤٢

من ذلك أن يقوى عرشه ضد أحفاد نظرائه سابقاً من المماليك ، وكذلك خوفا من قيام الشيعة لارجاع الدولة الفاطمية ، فظن أنه لو نصب خليفة من السنيين فإنه يقضى على مثل هذه الدسيسة ، ويجعل حكمه فى مصر شرعياً . لذلك لما سمع أن أحد العباسيين قد أخطأته مذبحة المغول ، جد فى استحضاره من سورية إلى مصر فى موكب حافل . ولما اقترب العباسى من البلاد خرج السلطان وحاشيته لمقابلته » . وما لبث أن بويع بالخلافة بلقب « المستنصر بالله » ، فكان أول الخلفاء العباسيين بمصر .

وكان على بيبرس ، بعد أن استقرت له شئون الملك ، أن يتعقب الشيعيين بالديار المصرية ويقضى عليهم حتى يكون فى مأمن من دسائسهم ، وخالطه الشك فى أمر « أحمد البدوى » باعتبار أنه علوى متصوف ، فقد يكون صورة للكورانى الذى سبقت الاشارة إليه .

لذلك خرج بيبرس سنة ٦٦٢ ﻫ لزيارته ببلدة طندتا (طنطا) ، ويصف المقريزى هذه الزيارة فيقول : « مضى (بيبرس) إلى الغربية ، فصار يسير منفرداً فى خفية ، ويسأل عن والى الغربية الأمير ابن الهمام وعن سيرة نوابه وغلمانه ومباشريه ، فذكرت له عنه سيرة سيئة ، فقبض عليه وأدبه وأقام غيره ، وشكى إليه ظلم أحد المباشرين (الصيارف) النصارى ، فأمر به فشنق (١) » .

ويشير المقريزى إلى التقسيم الادارى للدلتا فى عصره ، لا فى عصر البدوى وبيبرس ، إذ أن إقليم الغربية لم يظهر إلا فى القرن الثامن الهجرى فى عهد

(١) السلوك : ج ١ قسم ٢ ص ٥٠٥

السلطان الأشرف شعبان (٧٧٧ هـ)، وفى هذا الاقليم كانت تقع بلدة طندتا إذ ذاك (١).

ثم واصل بيبرس سيره إلى دمياط، ثم إلى الشرقية. ولا جدال فى أن بيبرس كان قد مر بطندتا فى هذه الجولة التفتيشية السرية، وزار البدوى فى خلوته ومكان اعتكافه وعرف حقيقة حاله، فاطمأن اليه وقبل الأرض بين يديه، بعد أن اعتقد صحة ولايته وصدق صوفيته.

وقد ترددت أخبار هذه الزيارة على ألسنة الناس، وتناقلتها اقلام الكتاب جيلا بعد جيل، بل كانت مصدراً لكثير من القصص والأساطير التي أفاض فى وصفها الشعرانى وعبد الصمد، ونخص منها بالذكر رواية الشعرانى وهى: «كان الملك الظاهر بيبرس، أبو الفتوحات، يعتقد فى سيدى أحمد (رضى الله عنه) اعتقاداً عظيما، وكان ينزل لزيارته (٢)».

وقد ردد مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية هذا المعنى فقالوا: «ويقال إن معاصره الظاهر بيبرس كان يقدسه، وأنه قبل قدميه (٣)».

والراجح أن زيارة الظاهر للبدوى قد تكررت فى سنة ٦٦٤ هـ، «عندما خرج السلطان إلى الاسكندرية لمباشرة حفر خليجها بنفسه (٤)، ولما انتهى منه انتقل إلى أبيار (٥)، ثم عاد إلى قلعة الجبل بالقاهرة (٦)». ويرجح أن يكون الظاهر قد مر بطنطا، فهى على الطريق بين أبيار والقاهرة.

---

(١) راجع أطلس أسفل الارضين: لوحة رقم ٧

(٢) الطبقات: ج ١ ص ٢٤٧ والجواهر: ص ٣٩ و ٤٠ (٣) المجلد الاول: ص ٤٦٦

(٤) المقصود بخليج الاسكندرية الترعة التى كانت تصلها بنهر النيل

(٥) احدى بلدان مركز كفر الزيات بمديرية الغربية (٦) السلوك: ج ١ قسم ٢ ص ٥٤٣

ولم تكن زيارة بيبرس للبدوى ، الأولى والأخيرة من نوعها ، فقد تكررت زياراته لكثير من أولياء مصر فى عصره ، فقد زار بالاسكندرية « الشيخ المعتقد محمد بن منصور بن يحيى أبى القاسم القبارى ، فلم يمكنه من الطلوع إليه ، ولم يكلمه إلا وهو فى البستان والشيخ فى عليته ، ثم مضى لزيارة الشيخ الشاطبى (١) » .

وقد بلغ من احترام الظاهر للمتصوفة أنه كان يدعوهم إلى حضور حفلاته الرسمية ، كذلك كان أول من عنى بتجديد الجامع الأزهر بعد أن أهمل أمره منذ سقوط الدولة الفاطمية ، كما بذل جهداً عظيما فى محاربة المنكرات والقضاء عليها ، ففى سنة ٦٦٧ هـ « كتب بإزالة الخمور وإبطال الفساد والخواطىء من القاهرة ومصر وجميع أعمالها ، فطهرت كلها من المنكر ، ونهبت الخانات التى جرت عادة أهل الفساد على الاقامة بها وسلبت جميع أموال المفسدات وحبسن حتى تزوجن ، ونفى كثيراً من المفسدين ، وكتب إلى جميع البلاد بمثل ذلك (٢) » .

وقد أضاف المقريزى إلى ما سبق أن الظاهر « كانت له عدة أوقاف بمصر : منها وقف الطرحاء لتغسيل فقراء المسلمين وتكفينهم ودفنهم ، وهو أكثر الأوقاف نفعاً ، كما كان يطعم فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان خمسة آلاف نفس (٣) » .

---

(١) السلوك : ج ١ ــ قسم ٢ ص ٤٩٩

(٢) السلوك : ج ١ ــ قسم ٢ ص ٥٧٨

(٣) السلوك : ج ١ ــ قسم ٢ ص ٦٣١ ، ٦٣٩

تلك صورة للظاهر بيبرس الورع الكريم، وها كم صورة أخرى لبيبرس السياسى الماهر، الذى جمع إلى الصلاح والورع حدة الذهن وبعد النظر، وطول الباع فى أصول الحكم والسياسة. وفى ذلك يقول السير وليم موير:

«على أن بيبرس رغم عدله فى إدارة شئون البلاد، كان لا يتأخر، عند إثارة نار حقده، عن الغدر والخيانة والاستهانة بالأرواح والأنفس. وتلك طبيعة خاصة بجنسه، فكان سريع التصديق لما يلقى إليه من الوشاية، وكان لا يكتفى بتغيير وزرائه وحكامه من وقت لآخر مخافة أن يشتد بأسهم عليه فحسب، بل كان يودعهم أعماق السجن، وربما كانوا لا يخرجون منه أبداً. وكان أشد أخلاقه إيلاماً غدره، فانه لم يتأخر أو يتردد فى استخدامه لقضاء مآربه، وشواهد ذلك عدة».

ويستطرد السير وليم موير فيقول: «ولا حاجة بنا بعد ذلك إلى سرد حوادث غدره، غير أن المكر السىء الذى أبداه فى المثل الآتى يبرر لنا ذكره. ذلك أنه أراد أن يتخلص من بطريق النصارى ببغداد بسبب ما راعه من مصادقته للمغول، فاصطنع له بيبرس رسالة يشكره فيها على ما يقفه عليه من الأخبار السرية، ثم دبر أن يكشف أمر حامل الرسالة، فلما جىء بالكتاب بين يدى حاكم بغداد المغولى أمر بجزر رأس البطريق لخيانته(١)».

ونستطيع أن نستنتج من بعض الحقائق المتصلة بتاريخ الظاهر بيبرس أن عهده الذى عاش فى أثنائه البدوى أكثر من خمس عشرة سنة (٢)، كان خير

---

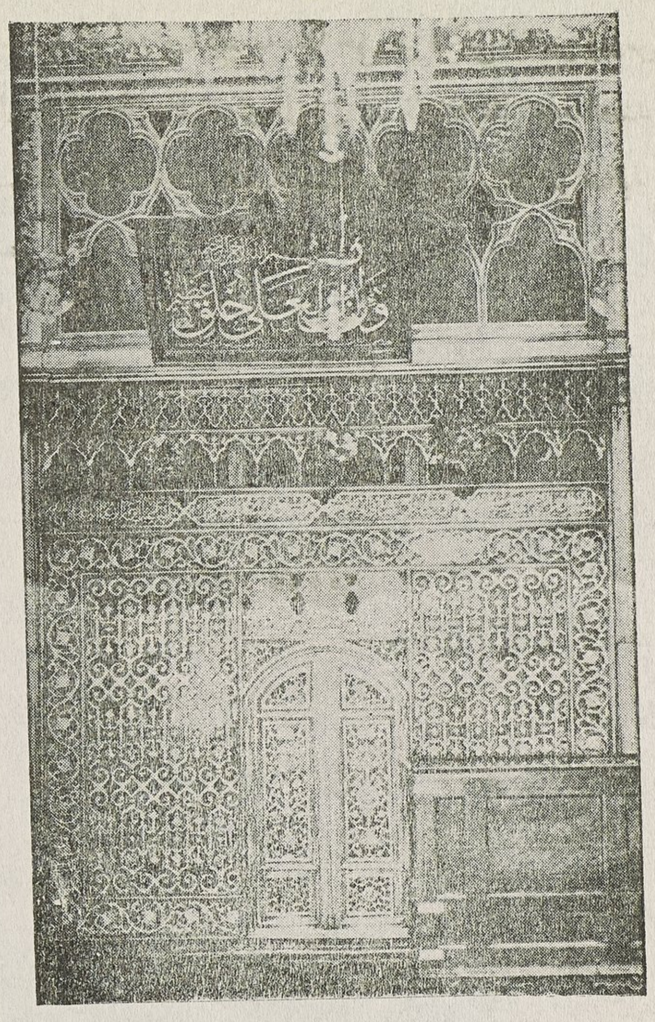
(١) تاريخ دولة المماليك في مصر: ٤٣ و ٤٤

(٢) بدأ بيبرس حكمه في أواخر سنة ٦٥١ هـ وتوفى سنة ٦٧٦ هـ وقد عاصره البدوي طول حكمه تقريبا.

مسبار لمعرفة حقيقة الحالة التى كان عليها البدوى ، ولو أنه كانت لأحمد أغراض سياسية أو أهداف دنيوية ، لما خفى أمرها على الظاهر بيبرس .

وإنه لمن حسن طالع البدوى أن يمر تاريخه بمثل هذا العهد الذى امتحنت فيه شخصيته ، وصهرت فيه سمعته ؛ فخرجت كلتاهما صافية نقية كريمة العنصر .

****



الجانب الأمامى لضريح

،، السيد احمد البدوى ،،

الفصل العاشر

وفاة البدوى وأشهر خلفائه

١ - تاريخ الوفاة :

أجمع الرواة إجماعاً تاماً على أن وفاة البدوى كانت يوم الثلاثاء الثانى عشر من ربيع الاول سنة ٦٧٥ ﻫ (٢٤ أغسطس سنة ١٢٧٦ م(١)) ، وهو يوم إحياء ذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت وفاته بطنطا حيث كان يعيش ، وحيث كان يتعبد ، وحيث توفى ودفن ، وحيث أقيم له القبر ، وحيث اشتهر هذا القبر حتى بنيت عليه قبة ، ثم بنى حولها مسجد عظيم ، يعتبر بحق من أكبر مساجد مصر وأعظمها شأناً منذ عهد بعيد (٢) .

****

٢ - المدد :

وقد عبر الشيخ عبد الصمد عن المدة التى عاشها البدوى - بمصر وغيرها - بكلمة « المدد » التى أشار إليها فى البيت الاتى :

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الاول ص ٤٦٧

(٢) سنعود الى الكلام عن هذا المسجد فى الفصل الثانى عشر من هذا الكتاب .

إن رمت تعرف مدة قد عاشها بدوينا ، راجع تواريخ المدد (١)

ومعنى ذلك أن مجموع الأرقام التى تدل عليها حروف كلمة « المدد » بحساب الجُمّل تعادل عدد السنوات الهجرية التى عاشها البدوى ، ومقدارها ٧٩ سنة ويساوى هذا العدد المدة بين سنة ٥٩٦ هـ (تاريخ الميلاد) وسنة ٦٧٥ هـ (تاريخ الوفاة) .

وقد اتخذ الشعرانى من كلمة « المدد » معنى يعبر به عن قوة البدوى الروحية ، فقال : « وكان سيدى عبد العال يأتى إلى البدوى بالرجل أو الطفل فيطأطىء من السطوح ، فينظر إليه نظرة واحدة ، فيملؤه مدداً ، ويقول لعبد العال : إذهب به إلى بلدة كذا أو موضع كذا » (٢)

ومما تجب ملاحظته أن هذا التعبير من نسج خيال الشعرانى ، فإن كلمة « المدد » لم تظهر إلا بعد وفاة البدوى كما هو واضح ، ولكن شطحات الشعرانى وتجلياته ، التى أفاض بها على تاريخ البدوى أكسبته فى بعض النواحى غموضاً وإبهاما لا نعرف له علة ولا سبباً (٣) .

****

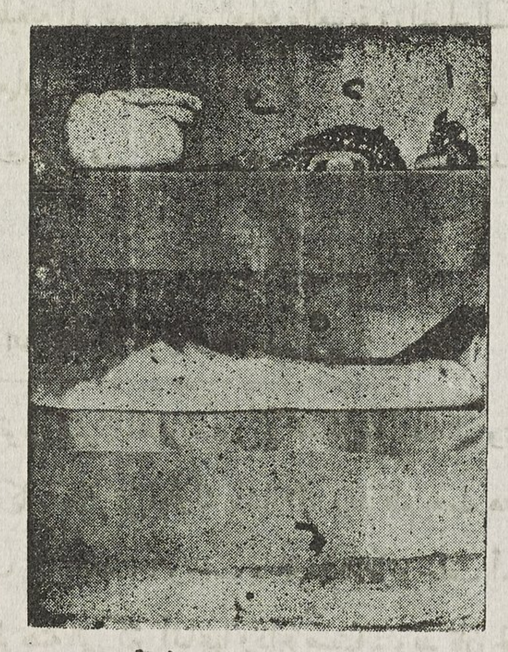
٣ — مخلفات البدوى :

وقد ترك البدوى بعد وفاته لخليفته عبد العال نصيبه من الدنيا ، لينال حظاً أسمى ، وجزاء أوفى فى الآخرة . ولم يزد هذا النصيب الدنيوى عن عمامة

---

(١) الجواهر : ص ٥ (٢) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٦

(٣) روى الشعرانى عن البدوى كثيراً من المعلومات التى لا تتفق مع كرامته العالية ، ولعلها مدسوسة عليه .



مخلفات البدوي
١- الأُجبة - ٢- المِسْبحة - ٣-
المِهراش - ٤- العِمامة - ٥- البُردة
٦- القميص

وعباءة وقميص ومشط ومسبحة كبيرة ، كلها محفــوظة فى مكان خاص بها بالمسجد الأحمدى بطنطا (١) .

ولا يزال خليفته إلى اليوم يلبس العمامة والعباءة فى المولد الكبير . ويقول الشعرانى «إن العمامة التى يلبسها الخليفة كل سنة فى المولد هي عمامة الشيخ بيده ، وأما البشت الصوف الأحمر فهو من ملابس سيدى عبد العال (٢) » .

****

٤ - عبد العال الانصارى أول خلفاء البدوى :

كان أول من تولى شئون الفقراء من الأحمدية بعد وفاة البدوى ، عبدالعال أو عبد المتعال - كما يسميه على مبارك باشا(٣) . وقد قام بعمله هذا خير قيام ، فكان خير خلف لخير سلف ، وتلقب بالخليفة ، لأنه خلف أستاذه البدوى فى تدبير شئون طريقته التى كثر أتباعها وذاع صيتها . وقد كان لجهود عبدالعال فى هذا السبيل ما شجعنى على أن أقوم بترجمة حياته ، التى اتصلت بحياة البدوى اتصالا وثيقاً منذ هبط طنطا .

نشأ عبد العال منذ طفولته بجانب البدوى ، فشب على طاعته ، وتشبع بمبادئه ، واتبع آراءه . ولما كبر اتخذه البدوى الإمام الأيمن ، وهو الذى يلى القطب فى الدرجة مباشرة . ويعتبر مركزه أرقى من الإمام الأيسر وكلاهما يليان القطب : أحدهما عن اليمين وهو المفضل ، والآخر عن اليسار ، وهو

---

(١) راجع صورتها الشمسية بالكتاب (٢) الطبقات : ج ١ ص ٢٤٧

(٣) الخطط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٥ وعلم الدين : ج ١ ص ١٣٧

أقل من الأول فى الدرجة . ويصفهما الخفاجى ـ نقلا عن المناوى ـ فيقول :

« والإمامان وزيران للقطب (الغوث) ، أحدهما عن يمينه ونظره إلى الملكوت ، وهو مرآة ما يتوجه فيه إلى المحسوسات عن المادة الحيوانية ، وهو أعلى من صاحبه ، فيخلف القطب إذا مات (١) » .

ويشير إلى ذلك ابن عربى عند وصفه لطبقات الركبان من المتصوفة فيقول : « وهم على طبقات ، منهم : الأقطاب ، والأئمة ، والأوتاد ، والأبدال ، والنقباء ، والنجباء ، والرجبيون (٢) ، ومنهم الأفراد (٣) » .

وقد أشار مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية إلى إمامى البدوى فقالوا : « إنه (أى البدوى) كان يقوم الليل يتلو القرآن ، كما كان يأتم به إمامان فى الصلاة (٤) » .

ومن المسلم به عند الصوفية أن هذين الامامين هما وزيرا القطب ومساعداه ، وهما أول طبقات الصوفية بعد القطب ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

ولقد كان عبد العال صورة صادقة لأستاذه البدوى ، فقد أدرك علوم الطريق ، وتفهم فنون القوم (٥) ، حتى لقد ظهر أثر تلك التربية الروحية فى حسن سياسته لأهل الطريق ، وفى تنظيمه لشئون الفقراء طول حياته .

وترجع صلة البدوى بعبد العال إلى زيارته لبلدة « فيشا المنارة » (فيشا سليم الآن) ، إحدى ضواحى مدينة طنطا ، حيث كانت تعيش أسرة عبد العال الأنصارى التى اعجب ببعض رجالها ، وخاصة عبد المجيد أخا عبد العال الأكبر ،

---

(١) النفحات : ص ٤٤

(٢) هم الصوفية الذين لا يتصرفون الا فى شهر رجب وسنعود الى الكلام عنهم فى موضوع الموالد الاحمدية

(٣) الفتوحات المكية : ج ١ ص ١٩٩

(٤) المجلد الاول : ص ٤٦٧

(٥) يسمى عامة المتصوفة « القوم » أما من عداهم من الناس فيسمون « الخلق » .



الخليفة بملابس السيد البدوى
في المولد الكبير

بالبدوى وسيرته ، فبدأت العلاقة بين عبد المجيد ، ثم أخيه الأصغر عبد العال بهذا الولى العظيم منذ أوائل عهده بطنطا وضواحيها .

ولقد كان من أثر توطيد تلك العلاقة أن شغل عبد العال بأمر البدوى إلى درجة دفعته إلى صحبته والقيام على خدمته ، مع أخيه عبد المجيد ، ورأت أمه أنها ستحرم رؤية عبد العال فعملت على قطع صلته بالبدوى ، فكانت تقول : « يا بدوى الشؤم علينا » وكان البدوى إذا بلغه ذلك يقول : « لو قالت يا بدوى الخير لكان أصدق(١) » .

وحاولت أم عبد العال عبثا أن تفصل ابنها عن أستاذه الذى أدرك ما عليه عبد العال من مخايل النجابة ودلائل الذكاء ، فأخذ يعده لما ينتظره من مستقبل عظيم ، أقل ما فيه أن يخلفه على طريقته من بعده ، وهو الذى لم يتزوج ولم يعقب نسلا يعتمد عليه فى حفظ مبادئه وآرائه ، ويشرف على طريقته ، ويقوم على خدمة قبره وزاويته حتى يظل اسمه خالداً على مر الأيام .

وقد روى عبد الصمد عند تفصيله لأخبار السطوحية تاريخ العلاقات بين البدوى وأسرة عبد العال فقال : « ومن السطوحية الشيخ الصالح سيدى عبد المجيد ، أخو سيدى عبد العال ، الخليفة الأعظم لسيدى أحمد البدوى ، نشأ هو وأخوه فى ناحية فيشا المنارة ، ووقع له ولأخيه مع سيدى أحمد البدوى أول قدومه إلى طندتا (طنطا) وقائع كثيرة ، وأحبهما وقربهما ، وأخبر والدتهما أن الشيخ عبد العال هو الخليفة من بعده فى مقامه ، وأما الشيخ عبد المجيد فكان يتردد على سيدى أحمد البدوى أيام وقوفه على السطح ، ثم

---

(١) الجواهر : ص ٧ والطبقات : ج ١ ص ٢٤٦

انقطع إلى الله وصحب سيدى أحمد البدوى مدة طويلة ، وتأدب بآدابه وعرف إشاراته ، وكان لا ينام الليل تبعاً له (١) .

وقد استمر عبد المجيد على صلته بالبدوى حتى مات ، وكانت وفاته قبيل وفاة البدوى بسنوات (٢) ، ودفن ببلدته (فيشا سليم) وله فيها مسجد خاص لا يزال قائماً بها إلى اليوم .

وعندما مات عبد المجيد خلفه أخوه عبد العال فى القيام بخدمة البدوى ومباشرة صحبته ، حتى كان له الإمام الأيمن والوزير الأول . ولم تسلم صلة البدوى بأسرة عبد العال من القصص والأساطير كغيرها من الموضوعات المتصلة بتاريخ البدوى .

ومن أشهر تلك القصص قصة اللثامين التى تعلل لنا مقدار تعلق عبد المجيد بأستاذه البدوى ، ورغبته فى تعرف أحواله ، ولو أدى الأمر إلى تقديم روحه رخيصة فى سبيل شغفه بحب الاستطلاع . ولعل الرواة أرادوا أن يربطوا حادثة وفاة عبد المجيد بنوع من أقاصيص البطولة التى تخلد اسمه كواحد من أصدقاء البدوى ، وكرجل من رجاله المخلصين ، فعقدوا الموازنة بينه وبين ابن جلا بطل اللثام القديم ، الذى رددت قصته كتب المؤرخين ، وألسنة الرواة فى عصور مختلفة .

وليست قصة « البيضة » إلا إحدى القصص التى ذكرت لربط العلاقة بين البدوى وعبد العال برباط روحى ، قصد به التأثير فى نفس والدة عبد العال حتى تعترف بقوة البدوى الروحية ، وتطمئن إلى مصير ابنها بين يديه .

---

(١) الجواهر : ص ١٧

(٢) هو صاحب قصة اللثامين التى أشرت إليها سابقاً

وتتلخص هذه القصة - كما رواها الشعرانى - فيما يلى :

« نزل (البدوى) من السطح ، وخرج إلى ناحية فيشـا المنارة ، فتبعه الأطفال ، فكان منهم عبد العال وعبد المجيد ، فورمت عين سيدى أحمد ؛ فطلب من سيدى عبد العال بيضة يعملها على عينه ، فقال له سيدى عبد العال : وتعطينى الجريدة الخضراء التى معك ، فقال سيدى أحمد : نعم . فأعطاها له ، فذهب إلى أمه فقال لها : هنا بدوى عينه توجعه ، فطلب منى بيضة ، وأعطانى هذه الجريدة ، فقالت : ماعندى شىء . فرجع ، فأخبر سيدى أحمد بما حدث ، فقال له : إذهب فأتنى بواحدة من الصومعة . فذهب سيدى عبد العال فوجد الصومعة قد ملئت بيضاً ، فأخذ واحدة ، وخرج بها إليه(١) » .

فى هذا الثوب أخرج لنا الشعرانى قصة « البيضة » ، فجاءت على غرار أقاصيصه التى تفرد باخراجها فى حلقات تاريخ البدوى ظاهرة الاضطراب والمبالغة ، فضلا على أنه صوّر البدوى فى صورة بعض مدعى التصوف الذين غلبت عليهم الشعوذة ، وقل الاعتقاد فيهم ، فضربوا فى الارض يتلمسون الأنصار والأتباع ، ولو كانوا من الأطفال والصبيان (٢) .

ولقد كان عبد العال عند حسن ظن أستاذه به ، فقد خلفه على طريقته ، وظل كذلك حتى مات . ويصف عبد الصمد عهد خلافة عبد العال للبدوى ، نقلا عن مخطوط للشيخ جمال الدين سبط الحافظ بن حجر ، فيقول :

---

(١) الجواهر : ص ٧ ، الطبقات : ج ١ ص ٢٤٦

(٢) وتتصل هذه القصة بأخرى تصف تخليص البدوى للطفل عبد العال من الثور الذى حمله على قرنه (واجع الجواهر : ص ٧ ، الطبقات : ج ١ ص ٢٤٦) .

« ولما مات سيدي أحمد البدوى (رضى الله عنه) فى يوم الثلاثاء ثانى عشر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وستمائة ، تخلف بعده الشيخ الصالح مربى المريدين ، وعمدة السالكين . العارف بالله تعالى ، المعمر ، سيدى عبد العال ، فشيد أركان البيت (١) ، ورتب الأشاير ، وقصده الناس للزيارة من سائر الأقطار ، حتى توفى يوم السبت المبارك ، الموافق لعشرين خلت من شهر ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة (٢) » .

ولقد كانت خلافة عبد العال للاحمدية بوصية من البدوى له . وقد أشار عبد الصمد إلى هذه الوصية رواية عن عبد العال نفسه فقال :

« فعمرت الزاوية ورتبت فيها الفقراء والمريدين ، كما أشار علىّ البدوى بذلك ، وصرت خليفة من بعده باذنه لى صريحاً (٣) » .

وروى الشعرانى أن البدوى « استخلف بعده على الفقراء سيدى عبدالعال فسار سيرة حسنة ، وعمر المقام والمنارات ، ورتب الطعام للفقراء وأرباب العشائر (٤) » .

وظل عبد العال فى خلافته نحو ثمانٍ وخمسين سنة هجرية ، استطاع فى أثنائها أن يوطد أركان الطريقة الأحمدية بعد وفاة عاهلها ، وأن يعمل على إحياء تراث أستاذه لمئين من السنوات التالية .

وقد عاصر عبد العال فى عهده الطويل تسعة من سلاطين المماليك البحرية هم :

---

(١) يقصد زاوية البدوى التى أقامها عبد العال حول قبره ، وكانت نواة لمسجده فيما بعد .

(٢) الجواهر : ص ١٦ . (٣) الجواهر : ص ٥٧

(٤) الطبقات : ج ١ . ص ٢٤٧ .

ضريح عبد العال الأنصارى
أول خلفاء البدوى

الظاهر بيبرس ، فى أواخر أيامه ؛ ثم ولداه السعيد بركة خان ، والعادل سلامش ، ثم المنصور قلاوون وابناه الأشرف خليل والناصر محمد (للمرة الأولى) ثم العادل كتبغا ، والمنصور لاجين ؛ والناصر محمد بن قلاوون (للمرة الثانية) ، ثم بيبرس الثانى ؛ والناصر محمد (للمرة الثالثة) ، وفى عهده توفى عبد العال بعد أن استمرت خلافته من سنة ٦٧٥ ه حتى سنة ٧٣٣ ه (١٢٧٦ - ١٣٣٣ م) (١) .

***

٥ - خلفاء البدوى من أسرة عبد العال :

ولما مات عبد العال خلفه على شئون الأحمدية كثيرون من أسرته (٢) ومنهم :

زين العابدين عبد الرحمن : وهو شقيق عبد العال ، وقد تولى خلافة الأحمدية بعده مباشرة ، فعمر البيت وقصده الناس للزيارة من كل صوب ، وتبركوا به ، وأتوا بالنذور ، واستشفعوا به عند الحكام ، وظل كذلك حتى توفى فى الرابع والعشرين من شهر شعبان سنة ٧٥٤ ه (١٣٥٣ م) . وقبره الآن بقبة عبد العال ، وقد سجل عليه اسمه .

وكانت مدة خلافته عشرين سنة وثمانية أشهر ؛ عاصر فى أثنائها تسعة من حكام المماليك البحرية ؛ وهم :

---

(١) راجع ثبت حكام المماليك بآخر الكتاب .

(٢) راجع الجواهر : ص ١٦ وما بعدها ، وثبت الخلفاء فى آخر هذا الموضوع

الناصر محمد بن قلاوون (للمرة الثالثة) ، والمنصور سيف الدين أبو بكر ابن الناصر ، ثم الأشرف علاء الدين كوجة (كجق) ، والناصر شهاب الدين أحمد ، والصالح عماد الدين اسماعيل ، والكامل سيف الدين شعبان ، والمظفر سيف الدين حاجى ، والناصر ناصر الدين حسن (للمرة الأولى) ، والصالح صلاح الدين صالح ، وجميعهم أبناء الناصر محمد بن قلاوون (١) . وقد استمر حكمهم من سنة ٧٠٩ حتى سنة ٧٥٥ هـ (١٣٠٩ - ١٣٥٤ م) .

نور الدين على : وهو شقيق عبد العال أيضاً ولم يذكر عنه شيء يلفت النظر ، وكانت وفاته فى السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م) ، فى عهد السلطان الظاهر سيف الدين برقوق . وقبر نور الدين إلى جانب قبر أخيه عبد الرحمن بقبة عبد العال ، وقد جدد القبران فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) .

وقد استمرت خلافة « نور الدين على » نحو خمس وثلاثين سنة هجرية ، عاصر فى أثنائها ستة من حكام المماليك البحرية وسابعاً من المماليك البرجية وهم : الصالح صلاح الدين بن الناصر ، والناصر ناصر الدين حسن (للمرة الثانية) ، والمنصور صلاح الدين محمد بن حاجى ، والأشرف ناصر الدين شعبان ، ثم ابناه المنصور علاء الدين ، والمنصور حاجى (٢) . وجميعهم من المماليك البحرية ، أما السابع فهو السلطان برقوق من حكام المماليك البرجية بمصر .

---

(١) استمر الحكم في مصر في أسرة قلاوون نحو مائة سنة ، وكانت الاسرة الوحيدة التى احتفظت بنظام الوراثة في أثناء حكم المماليك وقتاً طويلا

(٢) ويعرف أيضا باسم (الصالح صلاح الدين) وقد تولى الحكم مرتين .

وقد استمرت مدة هؤلاء الحكام السبعة من سنة ٧٥٢ هـ حتى سنة ٨٠١ هـ (١٣٥١ - ١٣٩٩م) ، كانت فى أثنائها مدة خلافة نور الدين على ، فقد تولاها سنة ٧٥٤ هـ وتركها سنة ٧٨٩ هـ (١٣٥٣ - ١٣٨٧ م) .

شمس الدين محمد : تولى بعد أبيه نور الدين على سنة ٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م) وظل متربعاً فى دست الخلافة الأحمدية حتى توفى فى السادس عشر من شهر شعبان سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) ، وذلك فى عهد السلطان الأشرف بارسباى . وقد بقيت خلافة شمس الدين نحو ثلاث وخمسين سنة هجرية ، عاصر فى أثنائها تسعة من حكام المماليك البرجية ، وهم :

الظاهر سيف الدين برقوق ، والناصر ناصر الدين فرج بن برقوق (للمرة الأولى) ، والمنصور عز الدين عبد الظاهر بن برقوق ، ثم الناصر فرج (للمرة الثانية) ، والمؤيد شيخ المحمودى ، وابنه المظفر أحمد ، والظاهر سيف الدين ططر ، وابنه الصالح ناصر الدين محمد ، والأشرف سيف الدين بارسباى .

شهاب الدين أحمد : تولى الخلافة بعد أبيه شمس الدين محمد ، سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) ، وظل فيها حتى توفى فى الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة ٨٤٦ هـ (١٤٤٢ م) . وكانت توليته ووفاته فى عهد السلطان سيف الدين جقمق ، الذى استمر حكمه من سنة ٨٤٢ حتى سنة ٨٥٧ هـ (١٤٣٨ - ١٤٥٣م) وبذلك كانت خلافة أحمد بن شمس الدين نحو أربع سنوات وأربعة أشهر .

زين الدين عبد الكريم : وهو ابن أخى شهاب الدين أحمد بن شمس الدين محمد ، تولى الخلافة الأحمدية سنة ٨٤٦ هـ (١٤٤٢ م) ، وظل فيها حتى قتل فى شهر صفر سنة ٨٦٢ هـ (١٤٥٨ م) .

وقد عاصر ثلاثة من حكام المماليك البرجية ، وهم .

الظاهر سيف الدين جقمق ، والمنصور فخر الدين عثمان بن جقمق ، والأشرف سيف الدين إينال .

وقد استمر حكمهم من سنة ٨٤٢ حتى سنة ٨٦٥ هـ (١٤٣٨ - ١٤٦١م) ، وكانت خلافة عبد الكريم ست عشرة سنة وشهرين ، بدأت فى ذى الحجة سنة ٨٤٦ هـ (١٤٤٢ م) ، وانتهت فى شهر صفر سنة ٨٦٢ هـ (١٤٥٨ م) .

ثم تتابع الخلفاء على شئون الاحمدية (١) ، وظلوا كذلك زمناً طويلا اضطربت فيه أحوال الخلافة ، وخاصة فى الفترة الأخيرة من حكم المماليك البرجية ، التى استمرت من سنة ٨٦٢ حتى سنة ٩٢٣ هـ (١٤٥٨ - ١٥١٧م) .

وفى تلك الفترة ساد الظلم الديار المصريه ، وانتشرت الفوضى فى أنحائها ، وتدهورت الحالة الاقتصادية ، نظراً لانقطاع مرور التجارة بأرض مصر ، ومرورها بطريق رأس الرجا الصالح الذى كشف سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٨م) . فضلا عما فرضه السلطان قانصوه الغورى من الضرائب الباهظة التى أرهقت الأهالى وأثقلت كواهلهم .

وكان آخر خلفاء الأحمدية فى تلك الفترة « محمداً » المعروف « بالأبيض » وهو الذى خرج مع السلطان الغورى لمحاربة سليم الأول العثمانى سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) ، وقد توفى فى حلب فى أثناء تلك الحروب (٢) .

ثم استقرت الخلافة الأحمدية أخيراً فى بيت الخليفة ، ولا تزال فيه حتى الآن ، وهى قسمة بين الخليفتين السيد أحمد كامل البهى ، والسيد مصطفى أمين

---

(١) راجع تتبع خلفاء الاحمدية بهذا الكتاب .

(٢) الجواهر : ص ١٦

الخليفة ، ويرجع نسبهما إلى عبد العال الأنصارى الخليفة الأول للبدوى ، كما هو مبين فى سلسلة الخلفاء المواجهة لهذا الكلام (١) .

****

٧ - علاقة الخلفاء بالحكام :

كان لخلفاء البدوى منزلة خاصة فى نفوس بعض معاصريهم من حكام المماليك ، فكانوا يسيرون فى مواكبهم الدينية جنباً إلى جنب مع كبار علماء الدين فى الدولة (٢) .

وقد زار بعضهم قبر البدوى للتبرك ، بل منهم من عنى بزاويته فاضاف فى بنائها ، وخاصة السلطان سيف الدين قايتباى من المماليك البرجية ، (٨٧٣ - ٩٠١ هـ = ١٤٦٨ - ١٤٩٦ م) ، الذى كان كثير الأعجاب بأحمد ، حتى لقد زار قبره سنة ٨٨٨ هـ (١٤٩٢ م) ثم وسع مقامه فيما بعد (٣) .

ولما آل حكم مصر إلى الأتراك العثمانيين سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧م) ، تغير مركز البدوى وخلفائه بتغير الهيئة الحاكمه ، ويصف ذلك مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية فيقولون :

« أما فى عهد الحكم العثمانى فيظهر أن الاحتفال بالبدوى قد فقد روعة مظاهره لأنها لم تكن تتفق مع الأنظمة الصارمة التى وضعها الأتراك .

---

(١) اعتمدت في ترتيب هذه السلسلة على ما عرضه علىّ السيد أحمد كامل البهى أحد الخلفاء الحاليين من مستندات ووثائق رسمية محفوظة لديه .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الاول ص ٤٦٨ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الاول ص ٤٦٨ نقلا عن ابن اياس : ج ٢ ص ٢١٧

٦ - خلفاء السيد أحمد البدوى من وقت وفاته حتى الوقت الحاضر

(٦٧٥ - ١٣٦٧ هـ = ١٢٧٦ - ١٩٤٨ م)

(١) عبد العال الأنصارى : (٦٧٥ - ٧٣٣ هـ)

(٢) زين الدين عبد الرحمن : (٧٣٣ - ٧٥٤ هـ)

(٣) نور الدين على أبو محمد : (٧٥٤ - ٧٨٩ هـ)

(٤) شمس الدين محمد : (٧٨٩ - ٨٤٢ هـ)

(٥) شهاب الدين أحمد : (٨٤٢ - ٨٤٦ هـ)

(٦) زين الدين عبد الكريم : (٨٤٦ - ٨٦٢ هـ)

(٧) جمال الدين سالم

(٨) برهان الدين ابراهيم (الشهير بالأسمر) (٩) شمس الدين محمد (توفى سنة ٩٢٢ هـ) (الشهير بالأبيض)

(١٠) عبد الكريم (٩٢٢ - ٩٦١ هـ)

(١١) عبد المجيد (٩٦١ - ٩٦٥ هـ)

(١٢) أحمد الأحمدى

(١٣) كريم الدين

(١٤) كريم الدين (١٥) زين الدين عبد العال (شمس الدين محمد حموده الشناوى) (١)

(١٦) زين الدين عبد الوهاب (توفى سنة ١١٨٢ هـ) (١٦) شهاب الدين أحمد (٢) (توفى سنة ١١٨٢ هـ) (محمد) (عمر الشناوى)

(١٧) عبد الوهاب (الشهير باسم وهبه) (لم يعقب نسلا) (١٨) أحمد عبد الوهاب (توفى سنة ١٢٠٦ هـ) شمس الدين محمد

(١٩) محمد حموده | (٢٠) خليل عبد الوهاب (٢٠) سيد أحمد

(٢١) سعد أحمد (٢١) محمد الشناوى

(٢٢) محمد أحمد سعد (٢٢) محمد محمد الشناوى

(٢٣) مصطفى محمد ابراهيم (تولى بالنسب) (٢٣) عبد العزيز

(٢٤) مصطفى

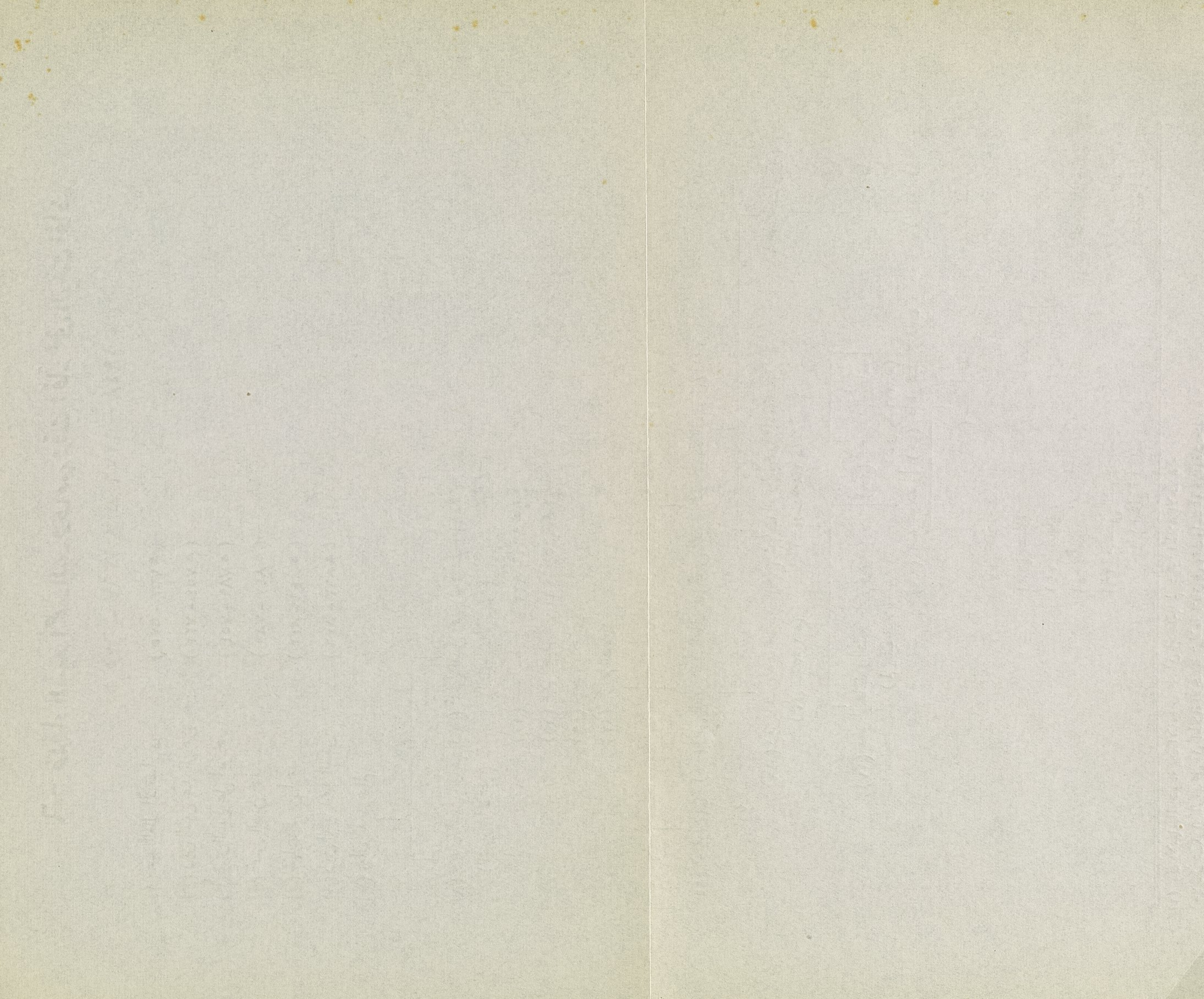
(٢٥) أمين (٢٤) محمد كامل البهى

(٢٦) مصطفى الشهير بالسيد (الخليفة الحالى) (٢٥) أحمد كامل البهى (الخليفة الحالى)

---

(١) تدل الاسماء الموضوعة بين الاقواس على أن أصحابها لم يتولوا الخلافة الاحمدية .

(٢) يدل تكرار الرقم على أن الخلافة الاحمدية تولاها اثنان فى وقت واحد أو فى أوقات متقاربة .



ولكن هذه النظم السياسية لم تستطع أن تحول دون تقديس المصريين له ، فهو أكبر أولياء مصر ، ومفرج كل المكروب منذ عهد طويل(١) » .

إلا أن العهد العثمانى بمصر مالبث أن امتاز بحركة عامة لإحياء مخلفات البدوى من مؤلفات وأبنية ، فكتب الشيخ عبد الصمد زين الدين ، داعى الحضرة الأحمدية ، كتابه «الجواهر السنية فى النسبة والكرامات الأحمدية» وفرغ من تأليفه سنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٨ م) ، وهو من أقدم وأحسن ما كتب عن تاريخ البدوى ، وله نسخة خطية بالمكتبة الأحمدية الملحقة بمسجده بطنطا (٢) .

وكذلك شرح عبد الرحمن عيدروس «صلوات» البدوى فى كتاب سماه «فتح الرحمن» ، وقد أشير إليه من قبل ، وكان ذلك بين سنتى ١١٣٥ و١١٩٢ هـ (١٧٢٢ - ١٧٧٨ م) .

وقد توج هذا العهد بجهود على بك الكبير فيما بين سنتى ١١٨٢ و١١٨٦ هـ (١٧٦٩ - ١٧٧٣ م) ، فقد أصلح بناء الزاوية الأحمدية ، وبنى القباب التى لا تزال شاهدة على ذلك حتى اليوم ، كما أنه نظم الأضرحة وبنى السبل ، ورتب الأوقاف وزاد فيها .

ولا تزال جهود على بك ناطقة فيما نقش على ضريح البدوى من سلسلة النسب المقرونة بسنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٣ م) ، وهى السنة التى توفى فيها على بك ،

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الاول ص ٤٦٨

(٢) ولهذا الكتاب أيضاً نسخة مطبوعة بدار الكتب التابعة لبلدية طنطا ، وهو أيضاً أول المراجع التى أشارت اليها دائرة المعارف الاسلامية فى موضوع (أحمد البدوى)

وتسبقها سنة ١١٨٢ هـ (١٧٦٩ م) على ضريح عبد العال ، وهى السنة التى أعلن فيها على بك استقلاله بمصر عن السلطان العثمانى .

ولعله فعل ذلك تقرباً للأحمدية وأتباعهم حتى يعاونوه فى حركته السياسية ضد الخليفة العثمانى ، حينما شق عليه عصا الطاعة ، وخلع عن مصر سلطانه .

ويظهر أن جهود على بك لم تقف عند إحياء المخلفات الأحمديه ، بل تعدتها إلى القائمين بأمرها ، فقد روى على مبارك باشا أن على بك منع أسرة الخادم من العمل بالمسجد والسكنى بالبلدة (طنطا) ، بعد أن أخذ منها أموالا طائلة ونالت أسرة الخادم على يديه عذاباً أليما ، وخلفتها أسرة الحاج حسن عبد المعطى (١) .

ولكن أولاد الخادم سرعان ما عادوا إلى مراكزهم بعد وفاة على بك ، إلا أنهم لم يهنئوا بالعودة إلى سابق عهدهم زمناً طويلا ، إذ ما لبثت مصر أن خضعت لحكم الفرنسيين سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨م) ، فعاد الاضطهاد إلى أسرة الخادم طمعاً فيما كان لدى أفرادها من مال لا ينفد ، كما كان يعتقد الفرنسيون لأنهم كانوا ملتزمين بالبلدة ، وقد اشتهروا بالغنى والثروة (٢) .

غير أن الأمور استقرت بمصر بعد خروج الفرنسيين منها سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) ، وزاد استقرارها بعد أن اعتلى العرش محمد على باشا مؤسس الأسرة العلوية الكريمة ، فعنى جل أعضائها عناية مشكورة بأمر البدوى وآثاره مما سنبينه فى الفصل الثانى عشر .

* * *

---

(١) الخطط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٧ (٢) الخطط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٧

الفصل الحادي عشر

الموالد الأحمدية

١ - أصل الموالد :

الموالد أعياد ومواسم دينية تقام فى مواعيد معينة لإحياء الذكرى ، أو الاحتفال بعيد الميلاد (المولد) ، ولما كانت وفاة البدوى يوم الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الثانى عشر من ربيع الأول ، فقد ارتبط إحياء ذكرى وفاة البدوى بمولد النبي ، وسمى الحادث منذ ذلك اليوم « مولداً » .

وسار الحال على ذلك فى السنوات التالية ، ولو لم يكن الموعد واحداً . وقد أطلقت كلمة « الموالد » إطلاقاً عاماً على ما يقام للأولياء من أعياد ومواسم تقليداً لما سبق الأخذ به بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

وليست هذه الموالد أو المواسم مظهراً جديداً فى الإسلام ، بل هى قديمة بقدم الإنسان ، فقد كان لقدماء المصريين أعياد ومواسم مختلفة الأوقات والأغراض ، يحضرها الملك أو من ينوب عنه من أسرته ، وعن المصريين القدماء أخذ اليونان نظام تلك المواسم والأعياد ، وظهرت عندهم فيما يعرف « بالألعاب الأولمبية » . وعن اليونان نقل الرومان نظام أسواقهم التى كانت شبيهة بمواسم اليونان وأعيادهم (٢) .

---

(١) راجع الجواهر : ص٤٥ والخطط التوفيقية : ج ١٣ ص٤٥ ، وعلم الدين : ج ١ ص ١٣٩

(٢) علم الدين : ج ١ ص ١٤٣

وكان يقام بعض هذه الأعياد بمصر فى عصرها القديم مرة كل ثلاثين سنة ، وكان يحصل لمن تقع فى زمنه من الفراعنة فخر عظيم ، وكان يصدر عن الناس فى هذه المواسم كثير من الفحش والفجور والمنكرات ، مما انتقل بعضه إلى العصور الوسطى والحديثة فى مثل تلك المناسبات .

وقد انتقلت هذه المواسم إلى المسيحية ثم الإسلام بأشكال اختلفت باختلاف العصور والأغراض ، إلا أنها حافظت ، رغم مرور الزمن ، على بعض الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التى لا تزال باقية حتى الآن كما كانت منذ آلاف السنين .

****

٢ - أنواع الموالد الأحمدية :

كانت تقام للبدوى ثلاثة موالد وهى : الكبير والصغير والرجبى ، ثم ألغى الصغير وبقى الآخران (الكبير والرجبى) ، يعقد كل منهما فى موعده .
وهاكم طرفا من كل من الموالد الثلاثة (١) :

المولد الكبير : وهو أكبر الموالد وأعظمها شأناً ، ويرجع حدوثه إلى أن أتباع البدوى حضروا إلى طندتا (طنطا) ، عندما علموا بوفاته ، للقيام بواجب العزاء . وكان ذلك فى ربيع الأول سنة ٦٧٥ هـ (أغسطس ١٢٧٦ م) ، ولما كانت البلدة لا تتسع لجموعهم فقد ضربوا خيامهم خارجها حيث يقام المولد

---

(١) أفاض فى وصف هذه الموالد على مبارك فى الخطط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٥ - ٥١

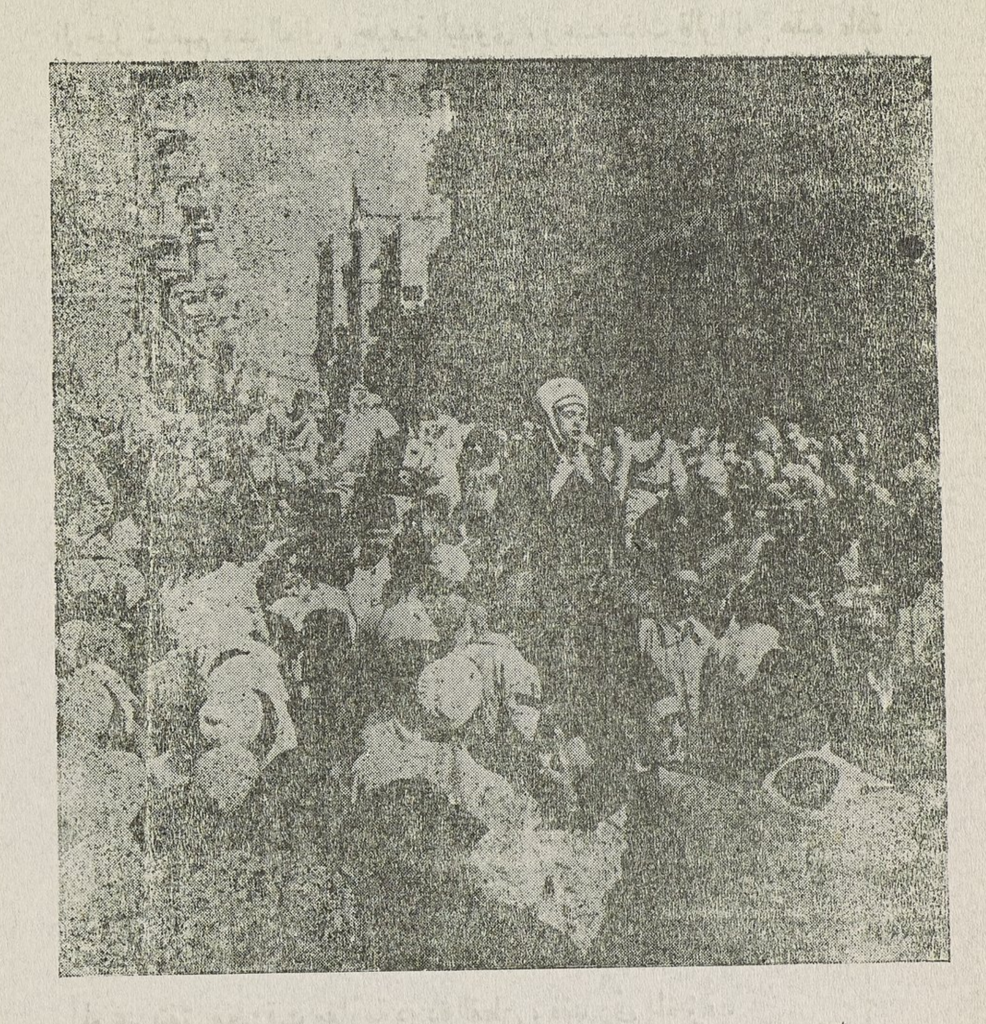
الكبير كل سنة ، وقد بقى هؤلاء الأتباع بطنطا ثلاثة أيام . ولما أرادوا الرحيل شيعهم عبد العال ، خليفة البدوى ، وعند ذلك قالوا له : هذه عادة مستمرة نحضر هنا كل سنة فى هذا الميعاد ، إن شاء الله ، إلى ما شاء الله ، واستمرت هذه العادة ، فنشأ المولد الكبير وكانت مدته ثلاثة أيام ، ثم صارت ثمانية ، كما تغير ميعاد هذا المولد من أغسطس إلى أكتوبر من كل سنة .

وينتهى هذا المولد بحفل كبير فى آخر يوم منه ، حيث يخرج الخليفة لتوديع الأتباع ، كما كان يفعل عبد العال ، أول خلفاء البدوى . ويعرف هذا الحفل باسم « ركبة الخليفة » ، وتعتبر إيذاناً بنهاية المولد (١) .

<u>المولد الصغير</u> : وكان يعرف باسم « مولد الشرنبلالى » ، نسبة إلى الشيخ الشرنبلالى أحد مشايخ الطائفة الأحمدية ، وقد حضر مع أتباعه وتلاميذه فى غير وقت المولد الكبير ، وأمضوا بعض الوقت فى إقامة الأذكار والعبادات ثم اتخذوا ذلك عادة يقومون بها كل سنة . وكان حضورهم للزيارة فى شهر مارس ، بدء الربيع ، حيث كان العرب قد اعتادوا الخروج للرعى كل سنة فى ريف مصر . إلا أن هذا المولد ما لبث أن تغير موعده فصار يعقد فى شهر يونيه من كل سنة ، وذلك بعد الانتهاء من موسم حصاد القمح . ولما كان هذا الموعد يتفق مع وقت مقاومة دودة القطن ، فقد رئى إلغاؤه .

<u>المولد الرجبى</u> : ويعرف أيضاً بمولد « لف العمامة » ، ويرجع حدوثه إلى زيارة أحد مشايخ الأحمدية بالمحلة الكبرى لضريح البدوى بطنطا لتجديد العمامة الموضوعة عليه ، وقد أحضر معه مقداراً كافياً من الشاش الأخضر لهذا الغرض

(١) ولهذه المناسبة اشتهر المثل السائر (ركب الخليفة وانفض المولد)



ركبة الخليفة في المولد الكبير

وقد صحبه فى هذه الزيارة جماعة من المشايخ والمريدين والفقراء ، وصار ذلك عادة ، فتجدد العمامة كل عام فى هذا المولد .

أما تسمية هذا المولد « المولد الرجبى » فقد يكون نسبة إلى أحد مشايخ الأحمدية الذى حضر من المحلة الكبرى لتجديد العمامة وهو الشيخ رجب ، أو نسبة إلى شهر رجب الذى حدثت فيه تلك الزيارة لأول مرة - كما أعتقد - خاصة وأن شهر رجب من الشهور المقدسة عند العرب منذ الجاهلية ، فهو أحد الأشهر الحرم ، وكان بعض العرب فى الجاهلية يعتقدون أن الدعوة لا تجوز على عدو إلا فى شهر رجب ، ولذلك كانوا يرجئون دعواتهم إلى هذا الشهر ، ولقد أبقى الإسلام على ما لهذا الشهر من فضائل ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « رجب شهر الله ، وشعبان شهرى ، ورمضان شهر أمتى » (١).

وفى هذا الشهر أيضاً حملت آمنة بنت وهب بمحمد صلى الله عليه وسلم فى ليلة الخميس الأول منه ، وفى ليلة السابع والعشرين منه أسرى بالنبى إلى الملأ الأعلى فكان ذلك إكراماً من الله له ، وإعزازاً لأمره فى هذا الشهر المبارك .

ويعرف هذا المولد أيضاً باسم « الرجبية » ، وقد يرجع ذلك إلى أن المشايخ الذين حضروا لتجديد العمامة ينتسبون إلى طائفة « الرجبية » إحدى طوائف المتصوفة ، وهم أولئك الذين لا يصدر عنهم شىء إلا فى شهر رجب ، الذى إليه ينسبون (٢) .

وقد يكون مرجع التسمية إلى الرغبة فى التشبه بالزيارة « الرجبية » للمسجد الحرام بالحجاز .

---

(١) الفنية : ج ١ ص ١٩٤

(٢) راجع الفتوح المكية : ج ١ ص ١٩٩ والنفحات : ص ٤٤ والفنية : ج ١ ص ١٩٤

وقد تغير موعد هذا المولد من شهر رجب إلى فبراير من كل سنة ، كما حدث للمولد الكبير ، وكان هذا التغيير أمراً محتوماً لأن الموالد قد صارت بمضى الزمن أسواقا تجارية يجب أن تتفق أوقاتها مع مواسم الإنتاج الزراعى وأنظمة الرى ، فيحدث المولد الكبير فى نهاية الموسم الصيفى للزراعة (أكتوبر) بينما كان يقام المولد الرجبى فى الموسم الشتوى (فبراير) ، ثم تغير موعده أخيراً فصار فى أبريل ، وخاصة بعد إلغاء المولد الصغير .

وعلى نظام الموالد الأحمدية تقام موالد أخرى لزعماء المتصوفة فى مصر كإبراهيم الدسوقى، الذى تقام موالده عادة بعد انتهاء موالد البدوى. ولغيرهما أيضاً تقام الموالد فى مواعيد مختلفة ، مما يدل على أنها صارت تقليداً صوفياً لما كان يحدث فى الماضى مع ملاحظة الظروف والأحوال المستحدثة .

****

٣ - أغراض الموالد :

ولهذه الموالد على اختلاف أنواعها أغراض عدة ، منها :

الغرض الدينى : وهو أساسها الأول وهدفها الحقيقى، وخاصة بالبلاد المصرية التى نشأ فيها عدد كبير من الاولياء والدعاة ، الذين انتهى أمر أكثرهم إلى التصوف السنى ، فلا نكاد نرى صقعاً من أصقاع البلاد إلا وفيه قبة لولى أو قبر لمتصوف ، أو ضريح لتابع لأحدهما، ولكل منزلته بين اتباعه ومريديه .

ولقد كان دأب هؤلاء المتصوفة جمع الأتباع والمريدين الذين دخلوا فى طاعتهم ، وتعلقوا بأهدابهم ، ودرجوا على احترامهم فى الحياة وبعد الممات، رائدهم فى ذلك الإخلاص والطاعة .



زحام الجمهور حول الخليفة فى آخر أيام المولد الكبير

وكانت تعتبر الموالد اجتماعات دورية للأتباع والمريدين يتدارسون فيها شئونهم، وما يتصل بطريقتهم من أمور تهمهم، ويتنافسون فى إظهار درجة إخلاصهم لشيخهم أو لخليفته من بعده، والكل يسارع إلى فعل الخير لا يرجو جزاءً ولا شكوراً، كما كانت تجمعهم الصلوات والأذكار، ونفوسهم راضية وقلوبهم مطمئنة، يفيض خيرهم على الفقراء من أحبائهم الذين انقطعوا للعبادة بين الزوايا والخوانق.

ولقد كان لذلك أثره الحسن عندما عمّ الفقر البلاد، وغشيتها ظلمات الحكم المستبد فى عصور المماليك، وولاة العثمانيين زمناً طويلا. أما وقد تغير نظام الحكم بمصر منذ عهد محمد على الكبير، فقد خفت وطأة الفقر، وانقطعت المجاعات، وامتنعت الأوبئة والأمراض الفتاكة، واتجهت العناية بطبقات الشعب إلى أسس جديدة، فانتشر التعليم، وتحسنت الحالة الاقتصادية وبدت بوادر الوحدة القومية والسياسية لمصر الحديثة، واتجهت الأنظار إلى غايات وأهداف جديدة تتفق وتطور الثقافة فى العصر الحاضر، فكان لذلك أثره فى تغيير وجهات النظر نحو هذه الموالد.

الغرض الاقتصادى: وللموالد أيضاً قيمة اقتصادية عظيمة، فهى أسواق تجارية يروج فيها تبادل السلع، وتصريف الحاصلات، وشراء ما يحتاج إليه الإنسان مما ليس له مثيل فى بلده، فضلا عما تدره من الأرباح الوفيرة على سكان الجهة التى تقوم بها.

ويصف على مبارك باشا ما كان يحدث بطنطا فى أيامه فى وقت المولد الكبير - وهو صورة لما يحدث الآن إلى حد ما - فيقول(١): «فى هذا المولد

(١) علم الدين: ج ١ ص ١٦٣

ما لا يخفى على أحد من المزايا والمنافع ، كمنفعة من يكترى منهم الدواب أو المراكب أو سكة الحديد للمضى إليه والانصراف منه ، ومنفعة من يكون من الفراشين والطباخين ، وغيرهم من أرباب الحرف والصنائع ، وأصحاب الدور التى تكترى ، والأشياء التى تشترى ، وما يكون فيه من سعة التجارة فإنا نرى كثيراً من التجار فى طنطا وغيرهم من سائر مدن مصر يعلقون أداء دينهم وقضاء بعض شئونهم على هذا المولد ، وينتظرون لهذا الموعد لكثرة مايكون فيه من البيع والشراء والأخذ والعطاء ، فينتفع البائع بثمن ما يبيعه والشارى بمايشتريه ، والكثير من أهل القرى ينتظرونه لشراء بعض مايلزمهم فى أثناء السنة مما لا يوجد فى جهاتهم ، أو ما يفضل عن حاجتهم من دابة أو محصول زراعة أو غير ذلك ، فهو سوق كسائر الأسواق العامة التى توجد فى جميع أقاليم الدنيا فى البلاد الإسلامية وغيرها » .

ومن المحاصيل الزراعية التى تروج تجارتها فى موالد السيد البدوى بصفة خاصة « الحمص » ، وهو من البقول التى اشتهرت مصر بزراعتها منذ عهد بعيد وكانت تجارته رائجة فى عصور مختلفة ، فقد روى المقريزى والقلقشندى عن ابن المتوج « أنه عدَّ فى طريق بين الفسطاط وجامع ابن طولون أكثر من ثلثمائة وتسعين قدراً للحمص المصلوق ، سوى المقاعد والحوانيت التى بها الحمص (١) » .

وقد صار من التقاليد على مر الأيام أن يشترى زوار المولد الحمص ، ولا يحب أحدهم أن يقال له إنه عاد من المولد بغير حمص . وليس هذا التقليد

---

(١) المواعظ والاعتبار : ج ٢ ص ١٣١ ، وصبح الأعشى : ج ٣ ص ٣٣٧

وليد الموالد ، بل إن تقديس الحمص الأخضر يرجع إلى أقدم العصور ، وقد نقلته لنا الأساطير ، وحرص الناس فى مصر على احترام تلك الأساطير ، فلا يزال بين الدهماء من يعتقد أنه لا بد من شراء الحمص الأخضر (الملانة) ليلة شم النسيم ليذهب عنهم التكاسل ، وتلك أسطورة قديمة ترمز إلى تقديس بعض المحاصيل الزراعية عند قدماء المصريين وغيرهم من أهل الصين .

وقد كانت لعناية الفاطميين بالمواسم والأعياد ، وما كان يُعد لها من أنواع الحلوى وبخاصة القاهرية منها ، أثر فى إدخال الحمص فى صناعتها ، فصارت كما نراها الآن من اختلاف فى الأنواع والاشكال .

ويظهر أن الفاطميين قد قلدوا سابقيهم من أهل مصر فى ذلك ، إذ كانت من عاداتهم العناية بأنواع الطعام والشراب فى أعيادهم : كعيد الميلاد وعيد الغطاس ، وعيد الفصح ، وعيد الشهيد ، وغيرها من الأعياد التى اشتهرت بين المسيحيين ، وقد قلد الجميع المصريين القدماء فيما اعتادوا القيام به فى مواسمهم وأعيادهم الدينية ، كتقديم القرابين من اللحوم والفطائر والحلوى على شكل تماثيل ، تقديساً لها وتبركا بها (١) .

الغرض الاجتماعى : تقام الموالد عادة لإحياء ذكرى الأولياء والمتصوفة الذين كرسوا حياتهم لنشر مبادئهم وآرائهم الصوفية بين أفراد الشعب ، الذين أهملت الحكومة أمر تربيتهم وتثقيفهم .

لذلك ترك بعض هؤلاء الزعماء الدينيين الشعبيين أثراً عظيماً فى نفوس أتباعهم ، لما كانوا يبذلونه فى سبيل تعليمهم أصول دينهم ، وحدود الأخلاق

---

(١) علم الدين : ج ١ ص ١٣٩ وما بعدها .

فيهم ، فالتفوا حولهم ، وقدروهم حق قدرهم ، فى حياتهم وبعد مماتهم ، فأقاموا لهم الزوايا والقباب ، ووقفوا عليها المال تخليداً لأسمائهم ورفعاً لشأنهم .

وما أشد حاجتنا فى عصرنا الحاضر إلى تدعيم تلك المبادىء السامية ؛ وإذكاء روحها الطيبة ، فى شكل يلائم مثلنا العليا الحاليه ، فيشب الأفراد وقد أشربت روحهم حب التضحية ، ومرنوا على حسن التقدير ، واستطاعوا التمييز بين الغث والسمين .

لذلك كانت الموالد وسيلة لرياضة الجسم والعقل ، والترفيه عن النفوس من عناء العمل المتواصل ، « فإن النفوس البشرية إذ دام عليها الشغل ، واتصل الكد والعمل ، يلحقها السأم والكلال والملل ، فلا بد من ترويحها فى بعض الأحيان لتعود لحالة نشاطها (١) » .

وتلك كانت وسيلة هامة فى ذلك السبيل ؛ ولا سيما فى وقت لم تعرف فيه وسائل التسلية الحديثة كالخيالة (السينما) والمنتديات والمتنزهات وغيرها .

وإذا كانت تغشى الموالد طبقة من الأغنياء والموسرين للمتعة والترفيه ، كذلك كانت تظهر طبقات من البائسين والمحتاجين الذين يعيشون على مايجود به أهل البر والاحسان من مال وغذاء وكساء ، فضلا عما كان يعده الأتباع والمريدون من أنواع الحيوان الذى كان يذبح ليأكل منه الاخوان والفقراء ويذهب جلها أو كلها براً وصدقة .

وتلك وسيلة من وسائل تنظيم الاحسان بطريقة تقليدية ، وتوزيع الصدقات فى أوقات ثابتة منظمة كثيراً ما كانت تعالج بعض ما يقاسيه الشعب فى عصر

---

(١) علم الدين : ج ١ ص ١٦٣

المماليك والعصر العثمانى من بؤس وشقاء ، بل لايزال المجتمع المصرى فى أشد الحاجة إلى مثل هذه الوسائل لمعالجة الفقر والمرض .

ومن التقاليد المتبعة الآن أن تقوم وزارة الأوقاف فى مولد البدوى الكبير بتوزيع الأموال واللحوم والحلوى على الفقراء ، وهى سنة حميدة إذا اتخذت صبغة الدوام فى شكل نوع من مطاعم الشعب ، أو ملاجىء العجزة والأيتام ، التى تنشأ وينفق عليها من أموال الأوقاف وبعض النذور التى يبلغ متوسط إيرادها الشهرى نحو ألف من الجنيهات ، وهو تقدير متواضع لما يجبي من أوقاف البدوى بطنطا ، وما يجمع من نذور كل شهر ، يزيد زيادة محسوسة فى أوقات الموالد والمواسم الدينية (١) .

***

٤ – محاولة ابطال الموالد :

ولقد كانت الموالد ، ككل مظهر من مظاهر الحياة ، لا يكاد يبلغ أشده ، ويؤتى ثمره ، حتى تعتوره علائم الانحلال ، وتمتد إليه أيدى البلى ، وتنتابه عوامل الفناء ، وتلك سنة الله فى أرضه .

بدأت موالد البدوى ثلاثة ، وبقيت حافظة لكثير من مظاهر قوتها زمناً طويلا بدون تغيير ، اللهم إلا فى الموعد الذى ارتبط بالشهور الشمسية ،

---

(١) للسيد البدوي أوقاف عدة في جهات مختلفة بالقطر المصرى ، ويبلغ متوسط ايراد أوقافه بمديرية الغربية نحو عشرة آلاف جنيه في السنة . أما النـــذور فلها نظام خاص توزع بمقتضاه أموال صندوق النذور كلما فتح .

ومواسم الرى والزراعة وجمع الضرائب .

وعلى مر الزمن تطورت الآراء والأفكار الدينية والسياسية لعوامل طارئة ، فتطورت معها الموالد وما كان يتصل بها من مظاهر دينية واجتماعية ، فحاول بعض حكام المماليك ، كالسلطان الظاهر سيف الدين جقمق إلغاءها ، وقد تم له ذلك سنة ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م) ، بعد أن رفض الشيخ يحي المناوى أن يوافقه على الافتاء بإبطال المولد (١) .

ولقد تعرض الشعرانى لأسباب إلغاء الموالد وعوامل انحلالها فى كتابه « لطائف المنن » تعرضاً دل على توفيق عظيم فى وصفه للحالة الاجتماعية بمصر فى القرن العاشر الهجرى ، حيث قضى الشعرانى زهرة حياته (٢) .

ونستطيع أن نستنتج مما ذهب اليه الشعرانى فى هذا الوصف الممتع ، بعض نواحى الاتجاه نحو إبطال الموالد ، فقد اعتمد أنصار الالغاء فى عهد الظاهر جقمق على أن الموالد صارت مهبطاً لارتكاب المحرمات ، وموطناً لانتشار الفسق والفجور ، ومجمعاً للمنافقين والمرائين الذين اتخذوا التصوف وطرائقه ستاراً لاخفاء أطماعهم المحرمة من سرقة ونهب وتهتك وخلاعة .

وكان ذلك تطوراً طبيعياً أدت إليه حالة البلاد السياسية والاجتماعية فى عصر المماليك ، وخاصة فى القرنين التاسع والعاشر للهجرة ، حيث شاع الغدر ، وفشت الخيانة ، وساد النفاق صفوف المماليك طمعاً فى الحكم ، ورغبة فى الحصول على صولجان الملك . وهو مما لا يستقيم معه عبادة ولا إيمان ، والناس على دين ملوكهم .

---

(١) الجواهر : ص ٤٦ (٢) ولد الشعرانى سنة ٨٩٨ هـ وتوفى سنة ٩٧٣ هـ

لهذا نادى بعض الحكام والسلاطين ، ومن لاذ بهم من أصحاب الرأى فى الدولة ، بضرورة إلغاء الموالد ، حتى يقضى على ما يقــوم بها من الفحش والفجور . وقد أشار ابن إياس ، مؤرخ عصر المماليك الشهير ، فى تاريخه إلى ذلك فى غير موضع (١) .

ولكن المماليك ومن جاء بعدهم من ولاة العثمانيين نسوا أنهم هم أساس الفساد وموطن الداء ، وحق عليهم قول الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا ۝ وما لزماننا عيب سوانا

وهناك سبب آخر اقتصادى لا يقل شأناً عن سابقه الاجتماعى ، يعلل إلى حد كبير ، الرغبة فى إلغاء الموالد التى فقدت بالفعل كثيراً من مظاهر رونقها وروعتها ، وذلك أنه فى أواخر عهد السلطان محمد بن قايتباى تم للبرتغاليين كشف الطريق إلى الهند بالمرور حول رأس الرجاء الصالح فى جنوب إفريقية سنة ٩٠٤ هـ (١٤٩٨ م) ، ففقدت مصر بذلك أكبر مورد لثروتها ، وأهم عامل فى غناها ورفاهيتها ، لأنها كانت قبل هذا الحادث طريقاً لمرور التجارة بين الشرق والغرب ، وكانت تجنى من وراء ذلك - حكومة وشعباً - أموالا طائلة ، انقطع سيلها دفعة واحدة منذ أوائل القرن العاشر الهجرى ، وأواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، وهو الوقت الذى بدت فيه الرغبة فى إلغاء الموالد .

وزاد الطين بلة والحالة سوءاً ، أن لجأ السلطان الأشرف قانصوه الغورى إلى فرض ضرائب باهظة على مختلف طبقات الشعب ، فى وقت حرمت فيه

---

(١) بدائع الزهور : ج ٢ ص ٦١ ، ج ٣ ص ٧٨

تلك الطبقات ثمرات تجارة المرور ، فزاد ذلك فى فقر الشعب وبؤسه وشقائه .
ونتج عن ذلك نقص فى الأموال وانتشار الفقر ، فعجز الناس عن حضور الموالد وإعدد الذبائح لها والوفاء بالنذور ، ففقدت الموالد روعتها تبعاً لذلك .

أما العامل الثالث الذى كان أقوى أثراً من سابقيه ، فهو انتشار الفتن وكثرة الحروب داخل مصر وخارجها ، وقد شغلت تلك الفتن والحروب الحكام عن إصلاح أحوال الرعية ، فضلا عن تأثر أفراد الشعب بما انتشر بين الطبقة الحاكمة من صفات الغدر والخيانة والنفاق ، حتى ضعف إيمانهم وتملكهم الخوف من الحكام ، وأصبح دأبهم الظهور بغير الحقيقة .

ويصف الأستاذ أحمد أمين بك ما وصلت إليه حالة البلاد عامة ، وحالة المتصوفة خاصة فيقول (١) :

« وهكذا كون الصوفية مملكة باطنية وراء المملكة الظاهرية ، اتخذوا فيها مملكة المهدى ، وغيروا ألفاظها ، وكملوا نظامها ، وكلها سبح فى الخيال ، وجرى وراء أوهام - كلها شعر - ولكن ليس شعراً لذيذاً ، بل هو شعر أفسد على الناس عقائدهم وأعمالهم ، وأبعدهم عن المنطق فى التصرف فى شئون الحياة ، وقعد بهم عن المطالبة بإصلاح الحكم وتحقيق العدل ، فكانوا يهيمون فى أودية من الخيال ، والحكام يهيمون فى أودية الفساد ، وكأنهم تواضعوا على ذلك ، فالحاكم يفسد ، والشعب يحلم ، وحالة الأمة تسوء » .

فلا عجب إذا انحطت العقلية المصرية ، وسيطرت عليها الخرافات

---

(١) فجر الاسلام : ج ٣ ص ٢٤٦

والأساطير ، كما ضعفت الروح الدينية الصادقة ، وانحلت روابط الأخوة بين الجماعات والفرق ، وأصبحت موارد البلاد نهباً لمن يدفع لها أغلى ثمن .

وقد ساعد على ذلك الانحلال الاجتماعي ، ما ظهر بمصر من الانحلال السياسي في أواخر العصر العثماني عند ما عاد نفوذ المماليك الأمراء إلى الظهور ؛ وصارت البلاد مسرحاً للتنافس بينهم ، كما كانت في عهد سابقيهم في القرون الماضية .

ولم ينقذ مصر من هذه الفوضى إلا على بك الكبير الذي مهد الطريق وأضاء السبيل لمنشىء مصر الحديثة محمد على الكبير رأس الأسرة العلوية الكريمة ، الذي أنشأ البلاد خلقاً آخر ، ووضع أساس نهضتها الحاضرة .

* * * *

الفصل الثاني عشر

المسجد والمعهد الأحمدى

١ ـ نشأة المسجد الأحمدى :

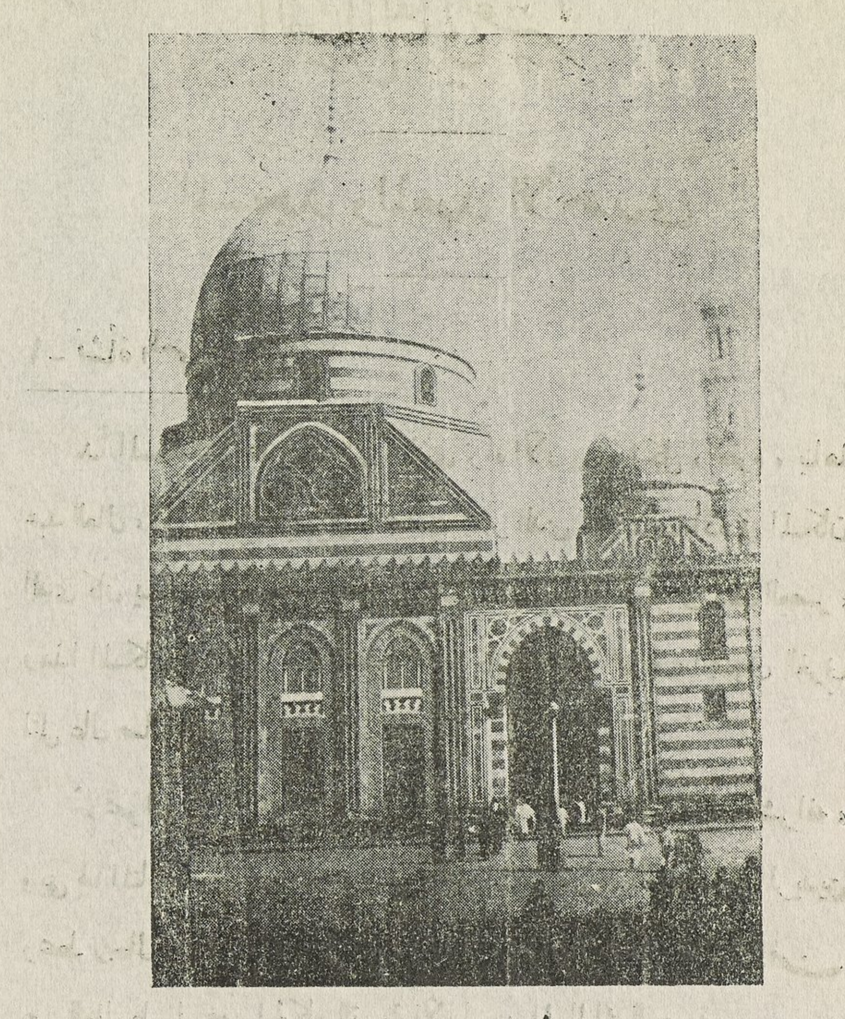
بدأ المسجد الأحمدى العظيم ، الذى نراه الآن ، فى شكل « خلوة » بناها عبد العال ، أول خلفاء البدوى ، بجانب القبر الذى بناه لأستاذه فى المكان الذى كان يسكنه ، كما كانت عادة كثير من الأولياء فى مصر فى ذلك العصر ، وهذا المكان هو منزل ابن شحيط الذى كان يقع فى الطرف الجنوبى الغربى لتل عال صار فيما بعد داخل المسجد (١) .

ثم تحولت هذه الخلوة إلى « زاوية » للأحمدية ، بناها عبدالعال بإشرافه ، وبنى لها المنارات والقباب ورتب بها الطعام للفقراء ، فكانت مهبط المريدين ومحط رحال الزائرين من كل فج . وظلت هذه الزاوية على حالتها زمن عبد العال طوال عهد الحكام التسعة الأول من المماليك البحرية .

ولما تولى السلطان سيف الدين قايتباى ، وسع المقام الأحمدى ، وعنى بالزاوية ، ومنذ ذلك الحين كثرت الأوقاف الخاصة بالزاوية الأحمدية ، فكانت من أهم أسباب بقائها وتحسين بنائها .

---

(١) ولا يزال أثر هذا التل ظاهراً خلف المسجد حيث أنشئت عليه المنازل



الجانب الجنوبى (القبلى)
للمسجد الاحمدى

وما لبثت الزاوية أن صارت مسجداً فخماً بفضل على بك الكبير (١١٨٢-١١٨٦ هـ) (١) فقد بنيت ثلاث قباب: كبراها للبدوى، والقبة الغربيـــة لعبد العال، والشرقية للشيخ مجاهد، شيخ المسجد فى عصر على بك.

وقد صنعت حول ضريح البدوى مقصورة من النحاس نقشت عليها سلسلة نسبه، وسجلت فى نهايتها سنة ١١٨٦ هـ إشارة إلى أن ذلك قد تم فى عهد على بك.

ولم تقف جهود على بك عند ذلك، بل أوقف أوقافاً جمة، تعتبر من أهم الموارد المالية للمسجد حتى الآن، كما أنه بنى «سبيلا» خارج المسجد فى الجهة الجنوبية، وقد نقل هذا السبيل إلى مكان قريب من مكانه الأول، ولا يزال به حتى الآن.

أما مقصورة عبد العال فمصنوعة من الخشب المطعم بالصدف، ويقال إنها كانت للبدوى من قبل، وقد نقشت على بابها النحاس أبيات من الشعر يثبت آخر شطر منها تاريخ إنشائها وهو سنة ١١٨٢ هـ، وذلك بحســاب حروف الجمل (٢).

ويظهر أن عناية على بك بالبدوى ومسجده قد بدأت قبل إعلانه الاستقلال بمصر عن السلطان، لأنه أراد أن يهيء أذهان الشعب لقبول فكرة الانفصال عن السلطان، خليفة المسلمين، وأن يمهد السبيل لخضوعهم لأمره، ودخولهم فى طاعته، ولم يجد من يعاونه على بلوغ مآربه إلا المتصوفة وأتباعهم،

---

(١) هذه الفترة هى فترة حـــكم على بك من وقت اعلان استقلاله بمصر حتى وفاته (١٧٦٩ — ١٧٧٣ م).

(٢) هذا الشطر من البيت الاخير هو: (هذا عزيزاً باب قطب الرجال).

والأولياء ومن بقى على عهدهم ، فلهم ما ليس لغيرهم من السلطان والنفوذ فى قلوب عامة الشعب ، لذلك كان على بك كريماً فى معاملتهم ، سخياً فى عطائهم ، مجيباً لمطالبهم مهما عزّت ، مما لايزال أثره باقيا حتى الآن .

****

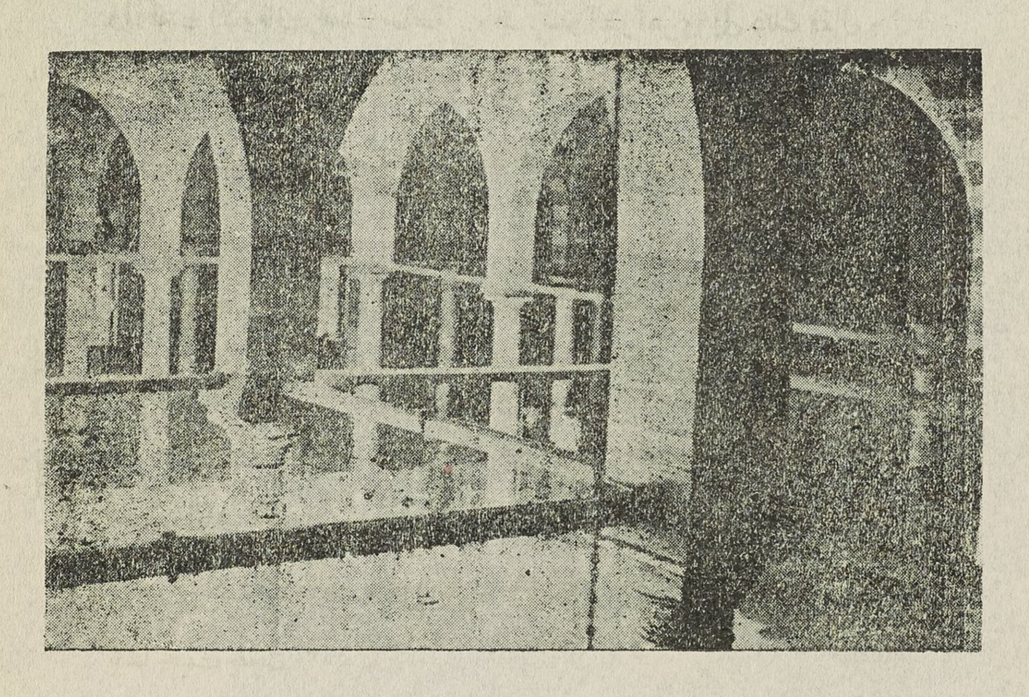
٢ - أثر الأسرة العلوية الكريمة فى تجديد المسجد :

ولقد نال المسجد الأحمدى بعد عهد على بك الكبير عناية حكام مصر من رجالات الأسرة العلوية ، فأضافوا وجددوا فيه كثيراً ، وكان أول المجددين منهم للمسجد المغفور له « عباس باشا الأول » الذى اتصلت جهوده بالمسجد الأحمدى مرتين :

الأولى : عندما عين مديراً للغربية لأول مرة ؛ بعد نقل عاصمتها من المحلة الكبرى إلى طنطا سنة ١٢٥٢ ﻫ (١٨٣٦ م) ، فعنى عباس باشا إذ ذاك بطنطا عامة ومسجد البدوى خاصة .

والثانية : عندما تولى عباس باشا عرش مصر بعد وفاة عمه ابراهيم باشا القائد الأعظم سنة ١٢٦٤ ﻫ (١٨٤٨ م) فأتم ما بدأه من قبل فى تجديد المسجد الأحمدى ، وصنع فى عهده المنبر الفاخر الذى اشتهر بحسن تصميمه ، ودقة صنعه ، وجمال منظره ؛ وكذلك زيدت مساحة المسجد من الداخل ؛ وصفت فيه أعمدة من الرخام المصرى يبلغ عددها ٥٨ عموداً .

ولا تزال هذه الجهود ناطقة بأحرف بارزة فى أعلى الباب الجنوبى (القبلى) للمسجد حيث كتبت العبارة الآتية :



المسجد الأحمدي من الداخل

« أنشىء هذا المسجد المبارك فى عهد خديو مصر عباس باشا الأول سنة ١٢٦٧ ﻫ » .

وفى عهد خلفه المغفور له « محمد سعيد باشا » نظمت القراءات بالمسجد ، وأوقفت الأوقاف لذلك خاصة ، وقد أشار الظواهرى إلى ذلك فقال :

« وللمرحوم سعيد باشا آثار بالمسجد خالدة ، من أهمها المقرأة السعيدية التى ساعدت على بقاء ميزة الجامع الاحمدى المشهورة ، وهى توفر القراء ، والعناية بالقرآن (١) » .

ويشير الظواهرى كذلك إلى جهود المغفور له « خديو مصر الأكبر إسماعيل باشا » فى تحسين مدينة طنطا والمسجد الأحمدى فيقول :

« للمرحوم إسماعيل باشا جهود مشكورة ، ومبرات مأثورة ، فأوجد أسباب الرقى والعمران فى مدينة طنطا إكراماً للسيد البدوى (٢) » .

ويثبت ذلك ما رواه على مبارك باشا عن مدينة طنطا فى عصر إسماعيل باشا حيث يقول (٣) :

« ولما أنعم الله تعالى على هذه الديار بجلوس الخديوى إسماعيل باشا على عرشها ، شمل تلك المدينة (طنطا) بعنايته ، وخصها برعايته ، وأكثر ما بها الآن من دور الحكومة والطرق الرئيسية من عهد إسماعيل باشا ، وكان له مكان خاص ينزل فيه عندما يزور طنطا ، وقد زار السيد البدوى عدة مرات » .

أما المسجد الأحمدى فى ذلك العصر فيصفه على مبارك باشا فيما يلى :

---

(١) مذكرة الظواهري: ص ٢٢ (٢) المرجع السابق

(٣) الخطط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٥

« هو أعظم مساجد طنطا شأناً ، ولا يفوقه فى التنظيم ، وحسن الوضع والعمارية من المساجد إلا القليل ، وهو فى وسط البلد تقريباً ، تحيط به أربعة شوارع ، وفى ضلعه القبلى مقام قطب الأقطاب سيدى أحمد البدوى (رضى الله عنه) ، وعلى ضريحه مقصورة من النحاس الأصفر فى أحسن شكل ، وقبة عالية مثل قبة الامام الشافعى ، وبداخله مقام تلميذه سيدى عبدالمتعال ، ومقام سيدى مجاهد . . . وله أربع منارات فى زواياه الأربع ، اثنتان كاملتان واثنتان مزمع تكميلهما ، وله سبعة أبواب ، وتبلغ مساحته فداناً ونصف الفدان(١) » .

ويطابق هذا الوصف ماعليه حالة المسجد الآن تقريبا ، غيرأن المنارات (المآذن) الأربع لم يتم منها إلا اثنتان فقط ، بل إن صغراهما هدمت ولم تبق إلا قاعدتها فى الضلع الجنوبى الشرقى للمسجد .

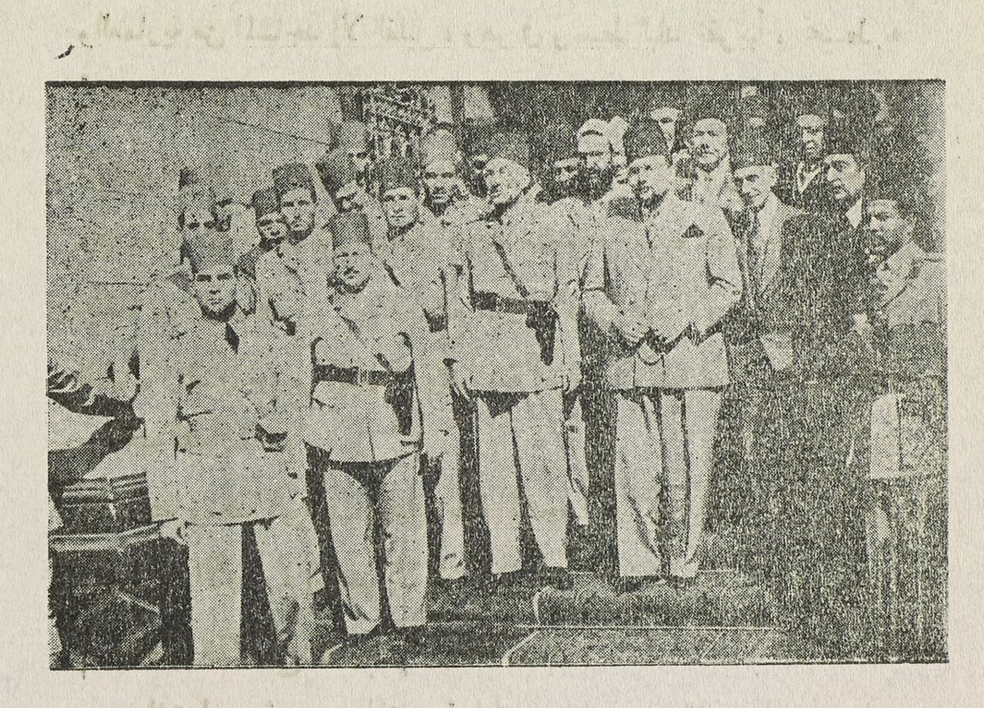
ولما تولى عرش مصر المغفورله الخديو عباس حلمى الثانى ، اتجهت عنايته إلى المسجد الأحمدى ، فأتم تحسينه وقوى بنيانه ، وجدد قبر نور الدين ، وعبد الرحمن ، من إخوة عبدالعال وخلفائه ، وذلك سنة ١٣١٥ هـ .

ويرجع إليه الفضل الأول فى تنظيم وسائل التعليم بداخل المسجد وخارجه وكانت جهوده فى هذا السبيل إتماماً لما بدأه الخديو إسماعيل ، كما سنذكره فى حديثنا عن المعهد الأحمدى .

وقد تجلت عناية الخديو عباس بمدينة طنطا فى زيارته لها ثلاث مرات : كانت الأولى فى جمادى الآخرة سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) ، أما الثانية فكانت

---

(١) الخطط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٦



صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

فى زيارته الثانية لمسجد السيد البدوى

(الجمعة ١٤ من ذى القعدة سنة ١٣٦٢ هـ /

١٢ من نوفمبر سنة ١٩٤٣ م)

فى شعبان سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م)، وكانت الثالثة فى جمادى الآخرة سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م).

أما جهوده فى تحسين المسجد الأحمدى فقد أشارت إليها العبارة المكتوبة بأعلى الباب الجنوبى، وهذا نصها:

«وقد تم تحسينه وتقوية مبانيه فى عهد خديوى مصر عباس حلمى الثانى، أدام الله أيامه، سنة ١٣٢٠ هـ».

وفى عهد المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول زاد المسجد الأحمدى رونقاً وبهاءً، فقد أزيلت المبانى التى كانت تحيط به، وحلت محلها طرق متسعة على النظام الحديث، فضلا عن تنظيم داخل المسجد والعناية بمرافقه.

ومما يذكر لجلالته بالحمد والثناء صدور أمره الكريم بوضع سور حديدى حول الحجر القائم بالزاوية الجنوبية لقبة البدوى، حتى لا يلجأ الزوار إلى لمسه أو لثمه لأن ذلك من المظاهر الوثنية (١).

وقد زار جلالته طنطا والمسجد الأحمدى أكثر من مرة، وكان يولى سدنة المسجد ورجال العلم به وبالمعهد الأحمدى أكبر رعايته، وأعظم عنايته وفى عهده أدخلت الأنظمة الحديثة فى التعليم بالمسجد والمعهد، إتباعا لسياسته فى نشر التعليم المدنى عامة والدينى خاصة.

ولقد سار صاحب الجلالة مولانا الفاروق، حفظه الله، سيرة سابقيه

---

(١) ليس لهذا الحجر تاريخ واضح، ويظهر أنه قديم بقدم القبة، لأن أحد المماليك أرسل أحد رجاله لرفعه من موضعه، ولكنه لم يفعل. ويقال أن هذا الحجر يمثل قدم النبى صلى الله عليه وسلم، لأنه قد حفرت عليه قدم انسان.

فى العناية بشئون المسجد الأحمدى ، فشرفه بزيارته الميمونة مرتين منذ توليه الحكم ، فقد كانت الزيارة الأولى يوم الجمعة الخامس من ربيع الثانى سنة ١٣٦٠ هـ (٢ مايو سنة ١٩٤١ م) ، أما الثانية فكانت فى الرابع عشر من ذى القعدة سنة ١٣٦٢ هـ (١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٣ م) .

وقد نال المسجد من عطفه السامى الكريم ما كان له أثره فى زيادة العناية به ، فوضعت فى أرجائه الفسيحة مكبرات للصوت حتى يسهل على المصلين سماع الامام والخطيب ، وخاصة وقت صلاة الجمعة ، وفى الأعياد والمواسم الدينية ، وفى وقت المولد عند ما يشتد الزحام ، وتمتلىء جنبات المسجد بالزائرين من كل جهة .

وقد نظمت القراءة بالمسجد فى أيام الجمع ، وكذلك نشطت حركة الوعظ والارشاد ، ولا تزال الأيام تنبئنا بما هو أعم فائدة وأعظم أثراً ، إن شاء الله ، فى عصر الفاروق الزاهر .

****

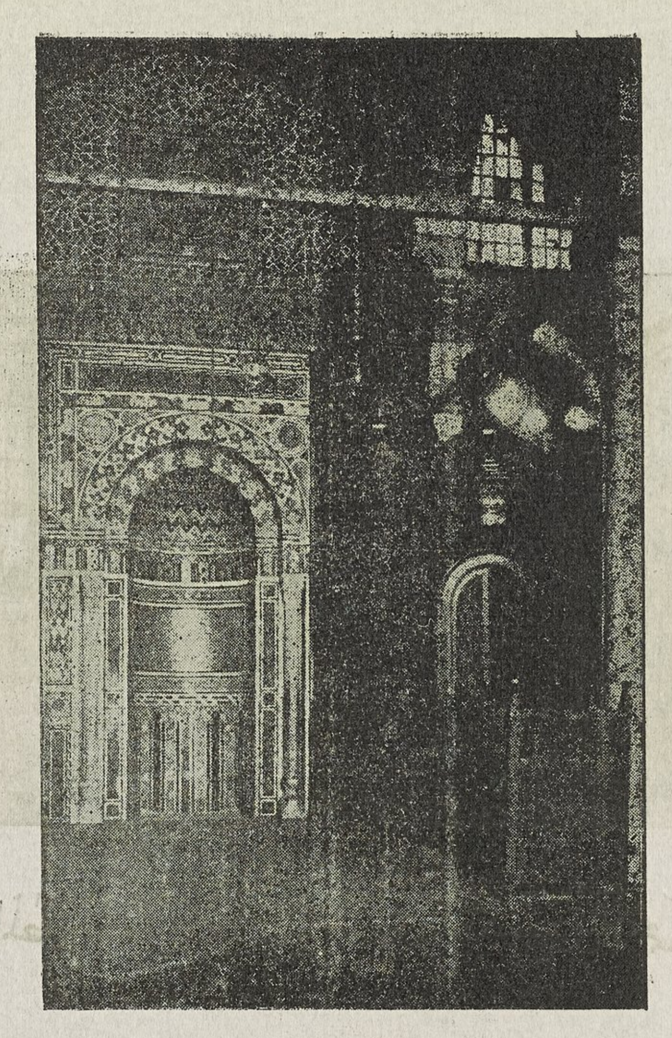
٣ - نفائس المسجد الاحمدى :

بالمسجد الأحمدى بعض النفائس الثمينة منها :

الشعرة النبوية الشريفة : أهداها أحد أعيان الأتراك ، فصنع لها صوان خاص بها ، بقبة عبد العال ، بين قبرى نور الدين وعبد الرحمن .

مخلفات البدوى : وقد أعد لها مكان خاص بها ، وقد أشرت إليها من قبل .

المنبر . وقد صنعه أحد المصريين صناعة دقيقة جعلت منه قطعة فنية



المنبر والمحراب بالمسجد
الأحمدي



قاعة المطالعة بالمكتبة الملحقة بالمسجد الأحمدي

رائعة من الفن العربى الجميل ، وبجانبه محراب فاخر صنع صنعاً متقناً فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى .

المكتبة الأحمدية : وقد أنشئت فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) ، وبها نحو ستة آلاف مجلد ، منها نحو ألف وثلثمائة مخطوط ، كتب بعضها بأقلام الدردير ، والعطار ، وابن قاسم ، والزرقانى ، وغيرهم من رجال العلم والفقه الاسلامى .

وبالمكتبة أيضاً كثير من المراجع العلمية الشهيرة « كشمس العلوم » فى الفقه ، وكتاب « الآمدى » فى الأصول و « كشف الأسرار » فى المنطق . ومن القطع الفنية الرائعة التى تحويها المكتبة الأحمدية لوحتان متوسطتا الحجم كتبت عليهما جميع سور القرآن الكريم بخط واضح ، وذلك غير المجموعات المختلفة من كتب الفقه الشافعى ، والمصاحف الأثرية النفيسة .

* * * *

٤ ـ التعليم وطريقته بالمسجد الأحمدى :

أما قيمة المسجد الأحمدى التعليمية فعظيمة ، إذ كان هذا المسجد مدرسة من أعظم مدارس التعليم الدينى بعد الأزهر ، ولذلك سمى الأزهر الثانى ، كما أنه من أشهر المزارات المقصودة ، ومن أكبر المساجد الجامعة بالديار المصرية .

ويرجع تاريخ وجود التعليم فى هذا المسجد إلى أوائل القرن التاسع الهجرى (أواخر الرابع عشر الميلادى) ، حيث وجد فى بعض وقفيات المسجد

المؤرخة سنة ٨١٤ هـ ما يؤخذ منه أن هذا المسجد كان به بعض طلبة العلم(١)

ويصف على مبارك باشا حالة التعليم فى المسجد الأحمدى فى عصره ، فيقول(٢) : « وله فى تدريس العلوم شبه بالجامع الأزهر ، ففيه نحو ألفى طالب غير المدرسين ، ولهم شيخ كشيخ الأزهر ، وقد تداولت مشيخته قديماً وحديثاً جملة وافرة من أجلاء العلماء وفضلائهم » .

وكانت طريقة التعليم بالمسجد الأحمدى قبل عهد الخديو عباس حلمى تسير على نظام الحلقات ، كما كان الحال بالأزهر ، ومساجد مصر والحجاز والعراق ، ثم أنشئت المدارس وألحقت بالمساجد على شكل أروقة للمذاهب الأربعة ، كما كان يفعل صلاح الدين الأيوبى وخلفاؤه ، إلا أن ذلك لم يكن يلائم أنظمة التعليم فى العصر الحاضر .

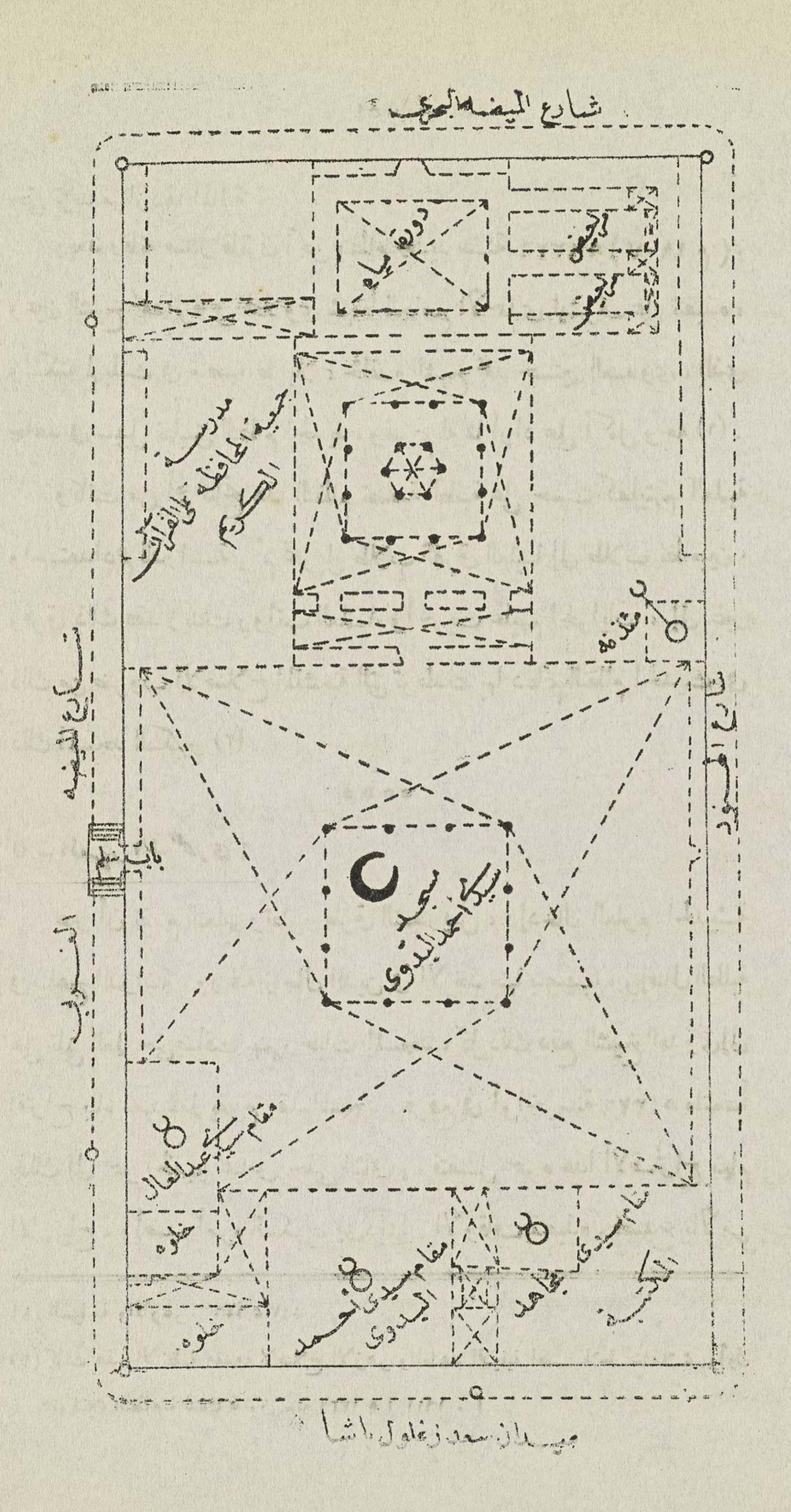
لذلك رئى النهوض بالتعليم فى المسجد حتى يساير الانظمة الحديثة قدر المستطاع ، فجعلت له ميزانية خاصة ، ووضع له نظام للتعليم شبيه بنظام الأزهر ، وذلك سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) ، وبمقتضى هذا النظام الجديد عقدت امتحانات للطلبة . وسجلت أسماؤهم فى سجلات خاصة ، ورتب لهم نظام للسكنى شبيه بنظام الاروقة بالازهر ، وعين شيخ للإشراف على طلبة كل جهة .

أما الادارة العامة للتعليم بالمسجد فقد وضعت تحت إشراف هيئة إدارية تتألف من شيخ الجامع ، ولجنة علمية ، ومشايخ الاروقة ، وقد عملت الادارة الجديدة برياسة الشيخ ابراهيم الظواهرى(٣) على إحياء الاوقاف المندثرة ،

---

(١) مذكرة الظواهرى : ص ١٧ ، ١٨ (٢) الخطط التوفيقية : ج ١٣ ص ٤٩

(٣) هو والد المرحوم الشيخ محمد الاحمدى الظواهرى الذى كان شيخاً للمعهد الاحمدى ثم شيخاً للازهر



شارع البيضة البحري
دورة مياه
مدرسة جمعية المحافظة على القرآن الكريم
مئذنة
شارع البيضة الغربي
مسجد سيدي احمد البدوي
مقام سيدي عبد العال
خلوه
خلوه
مقام سيدي احمد البدوي
مقام سيدي مجاهد
المكتبة
ميدان سعد زغلول باشا

حتى تزيد مواردها المالية .

وبعد وفاته صدر قانون آخر بنظام جديد سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٧ م) ، وعين الشيخ محمد الرفاعى المحلاوى شيخاً للجامع الأحمدى ليشرف على تنفيذه ، ولكنه لم يلبث فى منصبه طويلا ، فخلفه الشيخ محمد حسنين العدوى ، الذى جاهد فى سبيل تطبيق النظام الجديد ، وقد تم له ما أراد على أكمل وجه (١) .

وكانت من أهم نتائج هذا النظام تصفية الطلبة على حسب كفايتهم العلمية واستعدادهم للدراسة ، ثم تحويل طلاب الفرق العليا إلى طلاب نظاميين ، وفوق ذلك فقد زيدت رواتب العلماء وأجريت عليهم الجرايات ، إلى غير ذلك من ضروب الاصلاح المتشعبة التى توطدت بها دعائم النظام الحديث فى ذلك المسجد الكبير (٢) .

****

٥ - المعهد الأحمدى :

غير أن تقدم التعليم وتطور طرق التدريس ، وإدخال العلوم الحديثة فى مناهج الدراسة ، ورغبة رجال الدين فى الأخذ منها بنصيب ، وإقبال الطلبة على تلقى العلم حتى ضاقت بهم رحبات المسجد ، كل ذلك دفع الشيخ العدوى إلى اقتراح بناء معهد للعلم يقوم مقام المسجد ، فرفع فى أواخر سنة ١٣٢٦ هـ ملتمساً بذلك إلى سمو الخديو عباس حلمى الثانى ، فتقبل سموه هذا الاقتراح بتمام الارتياح ، وأصدر أمره الكريم إلى ديوان الأوقاف بتنفيذه ، فصدع بالأمر

---

(١) السياسة والأزهر : ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) كانت هذه الانظمة مقدمة لاصلاح الازهر والمعاهد الدينية اصلاحا شاملا ، وأول القوانين النظامية لذلك قانون سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)

مديره الحازم أحمد شفيق باشا ، ووضع الحجر الأول من أساسه فى ١٢ من صفر سنة ١٣٢٩ هـ (١١ فبراير ١٩١١ م) ، وكان تمام الطبقة الأولى منه مع معدات التعليم ، فى أواخر رمضان سنة ١٣٣١ هـ (١).

وقد تسلمته مشيخة الجامع الأحمدى للتدريس به فى يوم الخميس ٢٣ من ذى القعدة سنة ١٣٣١ هـ (٢٣ أكتوبر سنة ١٩١٣ م) وفى جمادى الآخرة من السنة التالية (١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م) ، افتتحه رسمياً سمو الخديو عباس حلمى وكان الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخاً للمعهد الجديد منذ أوائل سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م). وقد كتب بمناسبة تلك الزيارة كتيباً أجمل فيه ترجمة السيد البدوى وتاريخ الجامع والمعهد الاحمدى بطنطا.

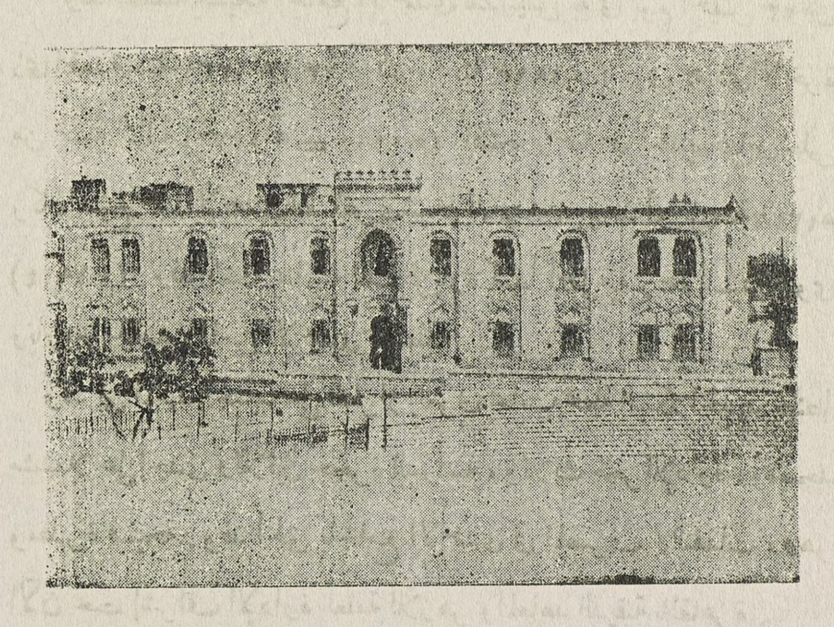
وقد بنى المعهد الجديد على الطراز العربى بجانب محطة السكة الحديد بطنطا مشتملا على إحدى وثلاثين حجرة للدراسة ، وثلاث حجر للإدارة ، ومسجد ومطهرة فسيحة . وقد ألحق بالجامع الاحمدى فى المصرف والنفقات ، وهو الآن تحت إشراف الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة .

وقد بدأت الدراسة بالمعهد الجديد لطلبة القسم الابتدائى ، وبقيت الاقسام الاخرى بالمسجد إلى عهد قريب ، حتى نقل القسم الابتدائى إلى مكان آخر ، وجعل المعهد للقسم الثانوى فقط ، أما الاقسام العليا فقد اختص بها الازهر نفسه بالقاهرة .

ومنذ ذلك الحين امتنعت الدراسة بالمسجد ، وأصبح خاصاً بالعبادة ، وإحياء الذكريات الدينية المجيدة ، كمولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وليلة الاسراء ، وليلة النصف من شعبان وغيرها . كذلك يؤمه الزوار كل يوم من كل فج ، وتزيد جموعهم فى الموالد زيادة عظيمة وخاصة فى المولد الكبير

---

(١) مذكرات الظواهري : ص ٣٥ ، والسياسة والازهر : ص ١٥٤



الجانب الأمامي للمعهد الأحمدي
„ الديني ” بطنطا

ثبت حكام مصر من الأيوبيين والمماليك[١]

(أولا) « ثبت حكام الأيوبيين »

(٥٦٧ - ٦٤٨ هـ = ١١٧١ - ١٢٥٠ م)

رقم مسلسل	أسماء الحكام	التاريخ الهجري من	التاريخ الهجري الى	التاريخ الميلادى من	التاريخ الميلادى الى	ملاحظات
١	صلاح الدين يوسف بن أيوب	٥٦٤	٥٦٧	١١٦٩	١١٧١	مدة الوزارة
		٥٦٧	٥٨٩	١١٧١	١١٩٣	« السلطنة
٢	العزيز عثمان بن صلاح الدين	٥٨٩	٥٩٥	١١٩٣	١١٩٨	بوصاية العادل أيوب
٣	المنصور بن العزيز عثمان	٥٩٥	٥٩٦	١١٩٨	١١٩٩	« عميه الافضل والظاهر
٤	العادل سيف الدين أبو بكر	٥٩٧	٦١٥	١٢٠٠	١٢١٨	وهو العادل الأول
٥	الكامل بن العادل	٦١٥	٦٣٥	١٢١٨	١٢٣٨	
٦	العادل أبو بكر بن الكامل	٦٣٥	٦٣٧	١٢٣٨	١٢٤٠	هو العادل الثاني وقد حضر البدوى في عهده الي مصر
٧	الصالح نجم الدين بن الكامل	٦٣٧	٦٤٧	١٢٤٠	١٢٤٩	توفى في نوفمبر سنة ١٢٤٩ م
٨	المعظم توران شاه بن الصالح	٦٤٧	٦٤٨	١٢٤٩	١٢٥٠	قتل في مايو ١٢٥٠ م
٩	الملكة أم خليل شجرة الدر	٦٤٨	-	١٢٥٠	—	استمر حكمها من صفر الى رمضان سنة ٦٤٨ هـ
١٠	الأشرف موسى بن الناصر يوسف ابن المسعود بن الكامل	٦٤٨	-	١٢٥٠	—	تولى في شوال ثم خلع نفسه بعد قليل في نفس العام

(١) مرجعنا فى ذلك : السلوك ، والمواعظ والاعتبار للمقريزى ، وتاريخ مصر فى العصور الوسطى للينبول ، وعدد المقتطف (سبتمبر ١٩٣٧) ، وتاريخ دولة المماليك فى مصر للسير وليم موير .

(ثانياً) ثبت حكام مصر من المماليك البحرية

(٦٤٨ - ٧٨٤ هـ = ١٢٥٠ - ١٣٨٢ م)

رقم مسلسل	أسماء الحكام	التاريخ الهجرى		التاريخ الميلادي		ملاحظات
		من	الى	من	الي	
١	الملكة شجرة الدر	٦٤٨	-	١٢٥٠	-	
٢	المعز عز الدين أيبك التركمانى	٦٤٨	٦٥٥	١٢٥٠	١٢٥٧	
٣	المنصور نور الدين على بن أيبك	٦٥٥	٦٥٧	١٢٥٧	١٢٥٩	
٤	المظفر سيف الدين قطز	٦٥٧	٦٥٨	١٢٥٩	١٢٦٠	
٥	الظاهر بيبرس البندقدارى	٦٥٨	٦٧٦	١٢٦٠	١٢٧٧	توفى البدوى فى عهده
٦	السعيد بركه خان بن بيبرس	٦٧٦	٦٧٨	١٢٧٧	١٢٧٩	
٧	العادل سلامش بن بيبرس	٦٧٨	-	١٢٧٩	-	استمر حكمه ٤ أشهر
٨	المنصور سيف الدين قلاوون	٦٧٨	٦٨٩	١٢٧٩	١٢٩٠	
٩	الاشرف خليل بن قلاوون	٦٨٩	٦٩٣	١٢٩٠	١٢٩٣	
١٠	الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٣	٦٩٤	١٢٩٣	١٢٩٤	المرة الأولى لحكمه
١١	العادل زين الدين كتبغا	٦٩٤	٦٩٦	١٢٩٤	١٢٩٦	
١٢	المنصور حسام الدين لاجين	٦٩٦	٦٩٨	١٢٩٦	١٢٩٨	صاحب التقسيم الادارى المعروف بالروك الحسامي
١٣	الناصر محمد بن قلاوون	٦٩٨	٧٠٨	١٢٩٨	١٣٠٨	المرة الثانية لحكمه
١٤	المظفر بيبرس الجاشنكير	٧٠٨	٧٠٩	١٣٠٨	١٣٠٩	وهو بيبرس الثانى
١٥	الناصر محمد بن قلاوون	٧٠٩	٧٤١	١٣٠٩	١٣٤٠	المرة الثالثة لحكمه

(تابع) ثبت حكام مصر من المماليك البحرية

رقم مسلسل	أسماء الحكام	التاريخ الهجري		التاريخ الميلادى		ملاحظات
		من	الي	من	الي	
١٦	المنصور أبو بكر بن الناصر	٧٤١	٧٤٢	١٣٤٠	١٣٤١	
١٧	الأشرف كوجه « «	٧٤٢	-	١٣٤١	-	ويعرف أيضاً باسم كجق
١٨	الناصر أحمد « «	٧٤٢	٧٤٣	١٣٤١	١٣٤٢	
١٩	الصالح اسماعيل « «	٧٤٣	٧٤٦	١٣٤٢	١٣٤٥	
٢٠	الكامل شعبان « «	٧٤٦	٧٤٧	١٣٤٥	١٣٤٦	
٢١	المظفر حاجي « «	٧٤٧	٧٤٨	١٣٤٦	١٣٤٧	
٢٢	الناصر حسن « «	٧٤٨	٧٥٢	١٣٤٧	١٣٥١	المرة الأولى لحكمه
٢٣	الصالح صالح « «	٧٥٢	٧٥٥	١٣٥١	١٣٥٤	
٢٤	الناصر حسن « «	٧٥٥	٧٦٢	١٣٥٤	١٣٦٠	المرة الثانية لحكمه
٢٥	المنصور محمد بن حاجى	٧٦٢	٧٦٤	١٣٦١	١٣٦٣	
٢٦	الأشرف شعبان بن حسين	٧٦٤	٧٧٨	١٣٦٣	١٣٧٦	
٢٧	المنصور على بن شعبان	٧٧٨	٧٨٣	١٣٧٦	١٣٨١	
٢٨	الصالح حاجي بن شعبان	٧٨٣	٧٨٤	١٣٨١	١٣٨٢	المرة الأولى لحكمه
-	-	-	-	-	-	-
٢٩	الصالح حاجى بن شعبان (المنصور حاجى)	٧٩١	٧٩٢	١٣٨٩	١٣٩٠	المرة الثانية لحكمه في عهد الظاهر برقوق من البرجية

(ثالثاً) ثبت حكام مصر من المماليك البرجية

(٧٨٤ - ٩٢٣ هـ = ١٣٨٢ - ١٥١٧ م)

رقم مسلسل	أسماء الحكام	التاريخ الهجري		التاريخ الميلادي		ملاحظات
		من	الى	من	الى	
١	الظاهر سيف الدين برقوق	٧٨٤	٨٠١	١٣٨٢	١٣٩٩	يتخللها حكم المنصور حاجى
٢	الناصر فرج بن برقوق	٨٠١	٨٠٨	١٣٩٩	١٤٠٥	المرة الأولى لحكمه
٣	المنصور عبد العزيز بن برقوق	٨٠٨	-	١٤٠٥	-	استمر حكمه من سبتمبر الى ديسمبر
٤	الناصر فرج بن برقوق	٨٠٩	٨١٥	١٤٠٥	١٤١٢	المرة الثانية لحكمه
٥	المؤيد شيخ المحمودي	٨١٥	٨٢٤	١٤١٢	١٤٢١	تولي بين الناصر والمؤيد العادل المصطفين العباسي
٦	المظفر أحمد بن شيخ	٨٢٤	-	١٤٢١	-	
٧	الظاهر سيف الدين ططر	٨٢٤	-	١٤٢١	-	
٨	الصالح محمد بن ططر	٨٢٤	٨٢٥	١٤٢١	١٤٢٢	
٩	الأشرف بارسباى	٨٢٥	٨٤٢	١٤٢٢	١٤٣٨	
١٠	الظاهر جقمق	٨٤٢	٨٥٧	١٤٣٨	١٤٥٣	
١١	المنصور عثمان بن جقمق	٨٥٧	-	١٤٥٣	-	
١٢	الأشرف إينال	٨٥٧	٨٦٥	١٤٥٣	١٤٦١	
١٣	المؤيد أحمد بن إينال	٨٦٥	-	١٤٦١	-	
١٤	الظاهر خوشقدم	٨٦٥	٨٧٢	١٤٦١	١٤٦٧	
١٥	الظاهر يلباى	٨٧٢	-	١٤٦٧	-	استمر حكمه من اكتوبر الي ديسمبر

(تابع) ثبت حكام مصر من المماليك البرجية

رقم مسلسل	أسماء الحكام	التاريخ الهجري		التاريخ الميلادي		ملاحظات
		من	الي	من	الي	
١٦	الظاهر تيمور بغا	٨٧٢	٨٧٣	١٤٦٧	١٤٦٨	ويعرف أيضاً باسم تمر بغا
١٧	الأشرف قايتباى	٨٧٣	٩٠١	١٤٦٨	١٤٩٦	
١٨	الناصر محمد بن قايتباى	٩٠١	٩٠٤	١٤٩٦	١٤٩٨	
١٩	الظاهر قانصوه	٩٠٤	٩٠٥	١٤٩٨	١٥٠٠	
٢٠	الأشرف جانبلاط	٩٠٥	٩٠٦	١٥٠٠	١٥٠١	
٢١	العادل طومان باى	٩٠٦	-	١٥٠١	-	
٢٢	الأشرف قانصوه الغورى	٩٠٦	٩٢٢	١٥٠١	١٥١٦	قتل في موقعة مرج دابق
٢٣	الأشرف طومان باى	٩٢٢	٩٢٣	١٥١٦	١٥١٧	تم في عهده خضوع مصر للاتراك العثمانيين



ثبت المراجع

١ - ابن إياس : محمد بن أحمد (المتوفى سنة ٩٣٠ هـ = ١٥٢٣ - ٢٤ م) :
« بدائع الزهور فى وقائع الدهور » .

٢ - ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم (المتوفى سنة ٧٢٨ هـ = ١٣٢٨م) : رسالته عن « الصوفية والفقراء » ، نشرها على أصلها المخطوط « السيد محمد رشيد رضا » منشىء المنار (الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩م) .

٣ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (المتوفى سنة ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥م) « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، المعروف بتاريخ ابن خلدون - فى ٧ أجزاء .

٤ - ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد (المتوفى سنة ٦٨١هـ = ١٢٨١م) .
« وفيات الأعيان » - فى جزأين (طبع بولاق سنة ١٢٨٣ هـ) .

٥ - ابن شداد : القاضى بهاء الدين (المتوفى سنة ٦٣٢ هـ = ١٢٣٤م) « كتاب سيرة صلاح الدين » المعروف باسم « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » (القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ) .

٦ - ابن عربى : محيى الدين أبو عبد الله محمد بن على (المتوفى سنة ٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م) : ا - « الفتوح المكية » فى ٤ أجزاء .
ب - « الاصطلاحات الصوفية » ج - « الديوان الكبير » .

٧ - أبو حديد : الاستاذ محمد فريد (المدير العام لمؤسسة الثقافة بوزارة المعارف) ، « صلاح الدين وعصره » .

٨ - أحمد أمين : (الأستاذ بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة) :

ا - « فجر الإسلام » (القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م) .

ب - « ضحى الإسلام » (القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٥ م) .

٩ - الجيلانى : أبو محمد عبد القادر بن أبى صالح (المتوفى سنة ٥٦١ هـ = ١١٦٥ - ٦٦ م) « الغنية لطالبى الحق عز وجل » فى جزأين (القاهرة سنة ١٣٢٢هـ) .

١٠ - حسن ابراهيم : الدكتور حسن ابراهيم حسن مدير عام جامعة محمد على بأسيوط : ا - « الفاطميون فى مصر » (المطبعة الأميرية سنة ١٩٣٢م)

ب - « تاريخ الإسلام السياسى » - الجزء الأول (القاهرة سنة ١٩٣٥م)

١١ - حسن خليفة : المراقب المساعد للتعليم الابتدائى بوزارة المعارف سابقاً ، « الدولة العباسية - قيامها وسقوطها » (القاهرة سنة ١٩٣١ م) .

١٢ - الحسنى : السيد عبد الرازق « موجز تاريخ البلدان العراقية » (صيدا سنة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م) .

١٣ - الخفاجى : عبده حسن راشد المشهدى « النفحات الأحمدية ، والجواهر الصمدانية » ، وعلى هامشه كتاب « الأنوار الأحمدية فى المناقب العلية » القاهرة سنة ١٣٢١ هـ = ١٩٠٤ م) .

١٤ - دائرة المعارف الإسلامية : (Encyclopaedia of Islam) النسخة المعربة - المجلد الأول : حرف الألف (ص ٤٦٥ - ٤٧٢) ، (القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م) .

١٥ - زين الدين : عبد الصمد ، داعى الحضرة الأحمدية فى فاتحة القرن الحادى عشر الهجرى : « الجواهر السنية فى الكرامات والنسبة الأحمدية » ، مطبوع بالقاهرة سنة ١٣٠٢ هـ ، وله مخطوط بالمكتبة الأحمدية بطنطا ، وقد

انتهى الشيخ عبد الصمد من تأليف كتابه سنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٩ م) .

١٦ - السيوطى : جلال الدين : ولد فى أسيوط سنة ٨٤٩ هـ ، وتوفى ودفن بها سنة ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) : « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » فى جزأين (القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ)

١٧ - الشعرانى : عبد الوهاب (ولد بقلقشندة سنة ٨٩٨ هـ وتربى بساقية أبى شعرة التى إليها نسب ، وتوفى سنة ٩٧٣ هـ = ١٥٥٨ م) ومن مؤلفاته :

ا - « لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار ، المعروف باسم « الطبقات الكبرى » فى جزأين (القاهرة سنة ١٢٢٩ هـ) .

ب - « لطائف المنن والأخلاق فى بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق » (طبع سنة ١٢٨٨ هـ) .

جـ - « لوافح الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية » وبهامشه كتاب « البحر المورود فى المواثيق والعهود » (القاهرة سنة ١٣٠٨ هـ) .

١٨ - طوسون : المغفور له الأمير عمر طوسون : « أطلس أسفل الارضين » .

١٩ - الظواهرى : محمد الاحمدى ، شيخ الازهر سابقاً ؛ (المتوفى سنة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م) : ا - « ذكرى تشريف الخديو عباس حلمى الثانى للجامع والمعهد الاحمدى بطنطا » (طنطا سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م) .

ب - « السياسة والازهر » - مذكراته نشرها ابنه الدكتور فخر الدين الظواهرى (القاهرة سنة ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م) .

٢٠ - عنان : محمد عبد الله : ا - « الحاكم بأمر الله » (القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م) ب - « تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين »

تأليف « يوسف أشباخ » (القاهرة سنة ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م) .

جـ - « تاريخ الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى » (القاهرة سنة ١٣٦١ هـ = ١٩٤٢ م) .

٢١ - الغزالى : محمد بن محمد المكنى بأبى حامد (المتوفى سنة ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) :

ا - « إحياء علوم الدين » فى أربعة أجزاء . ب - « سر العالمين وكشف مافى الدارين » (القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ) . جـ - « المنقذ من الضلال » (القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ) .

٢٢ - فلوتن : فان فلوتن العالم الهولندى « السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات فى عهد بنى أمية » ، تعريب الدكتور حسن ابراهيم (القاهرة سنة ١٩٣٤ م) .

٢٣ - القلقشندى : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن على ، (المتوفى سنة ٨٢١ هـ = ١٤١٨ م) « صبح الأعشى فى صناعة الانشا » فى أربعة عشر جزءاً .

٢٤ - ليفبول : ستانلى : (Lane - Poole , Stanley)

1 - A History of Egypt in the Middle Ages : (1914)

2 - Saladin & the Fall of the Kingdom of Jerusalem (1926)

٢٥ - مبارك : الدكتور زكى مبارك « التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق » فى جزأين ، (القاهرة سنة ١٩٣٨ م) .

٢٦ - مبارك : المغفور له على مبارك باشا (المتوفى سنة ١٣١١ هـ = ١٨٩٣ م) :

ا - « الخطط التوفيقية » فى ١٣ جزءاً (القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ) .

ب - « علم الدين » مسامرات (الاسكندرية سنة ١٢٢٩ هـ) .

٢٧ - مدكور وكرم : الدكتور ابراهيم بيومى مدكور عضو مجمع فؤاد الأول

اللغوى، والأستاذ يوسف كرم بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة : « دروس فى الفلسفة » (المطبعة الاميرية سنة ١٩٤٢ م) .

٢٨ ـ المقتطف : مجلة شهرية تصدر بالقاهرة ـ عدد خاص بعنوان « فى مصر الاسلامية » (سبتمبر سنة ١٩٣٧ م) .

٢٩ ـ المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ = ١٤٤١م) :

ا ـ « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » ، المعروف بالخطط المقريزية (القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ) :

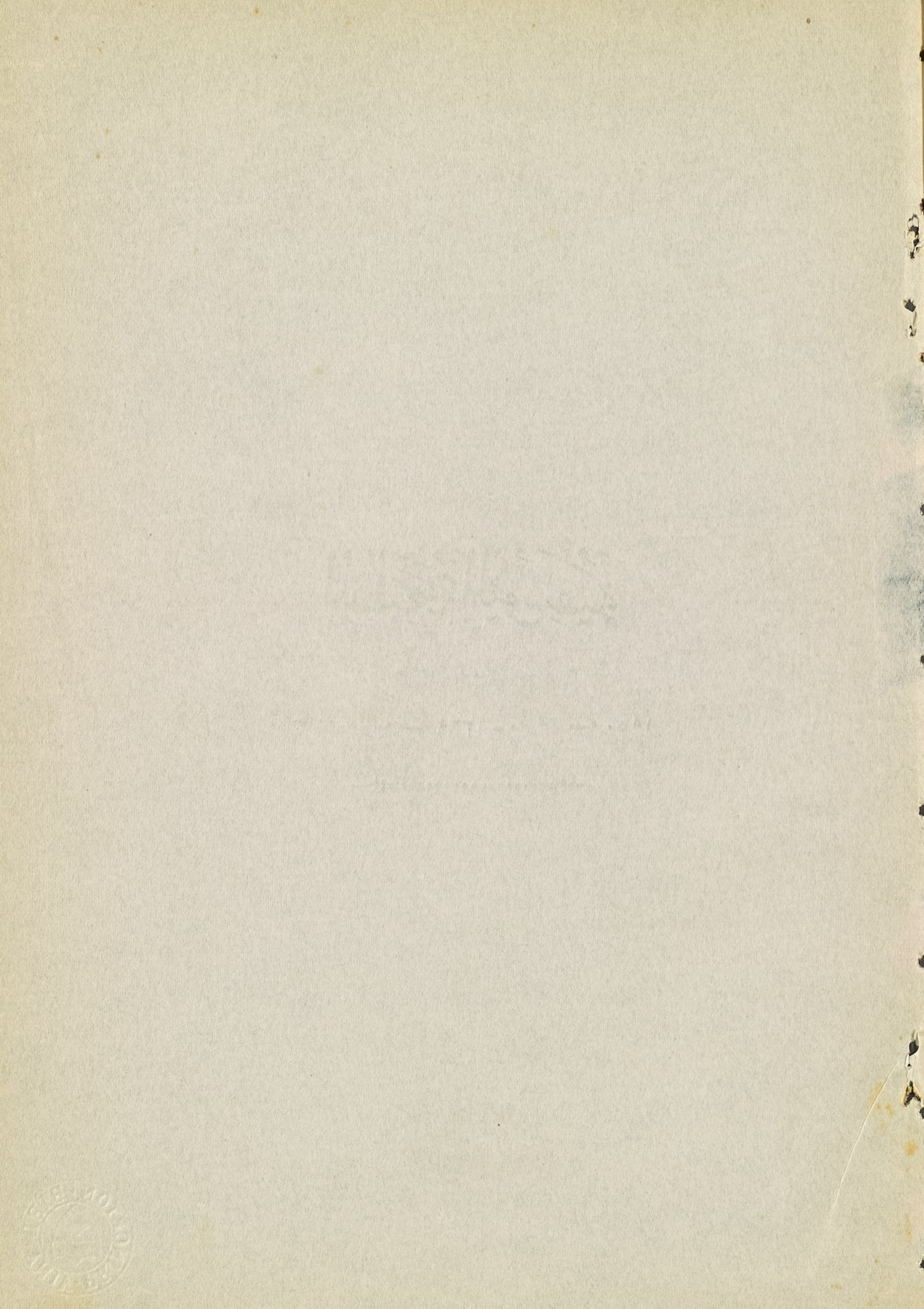
ب ـ « كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك » ، نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة ، الاستاذ بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة (طبع دار الكتب الملكية بالقاهرية) .

٣٠ ـ موير : (Muir, Sir William Temple) : « تاريخ دول المماليك فى مصر » ، (من سنة ١٢٦٠ حتى سنة ١٥١٧ م) تعريب الاستاذين سليم حسن بك ومحمود عابدين ، (القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤ م) .

٣١ ـ ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ = ١٢٢٩م) ا ـ « مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع » فى ثمانية أجزاء (طبع سنة ١٣١٠ هـ) .

ب ـ « معجم البلدان » (القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٦ م) .



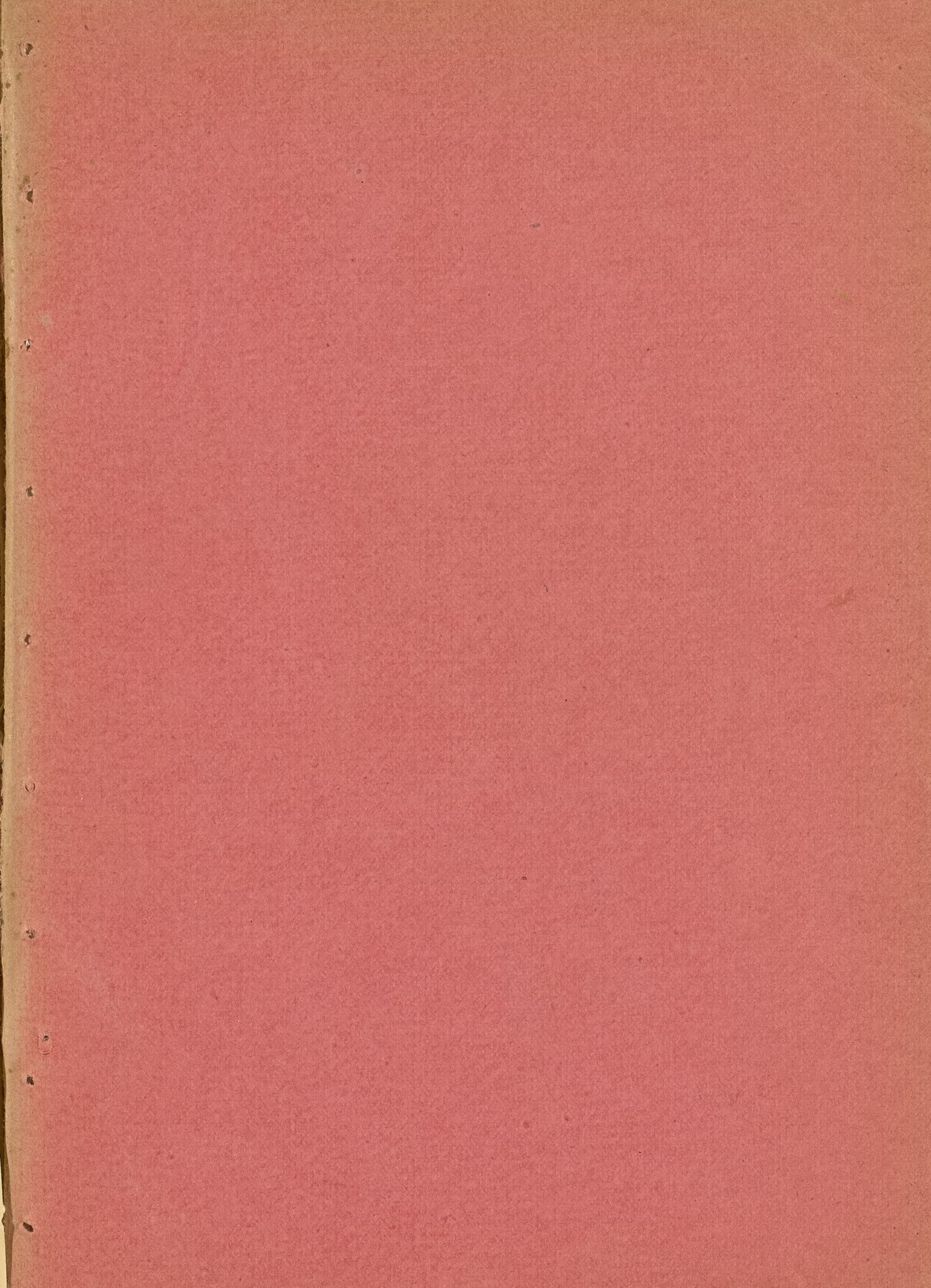


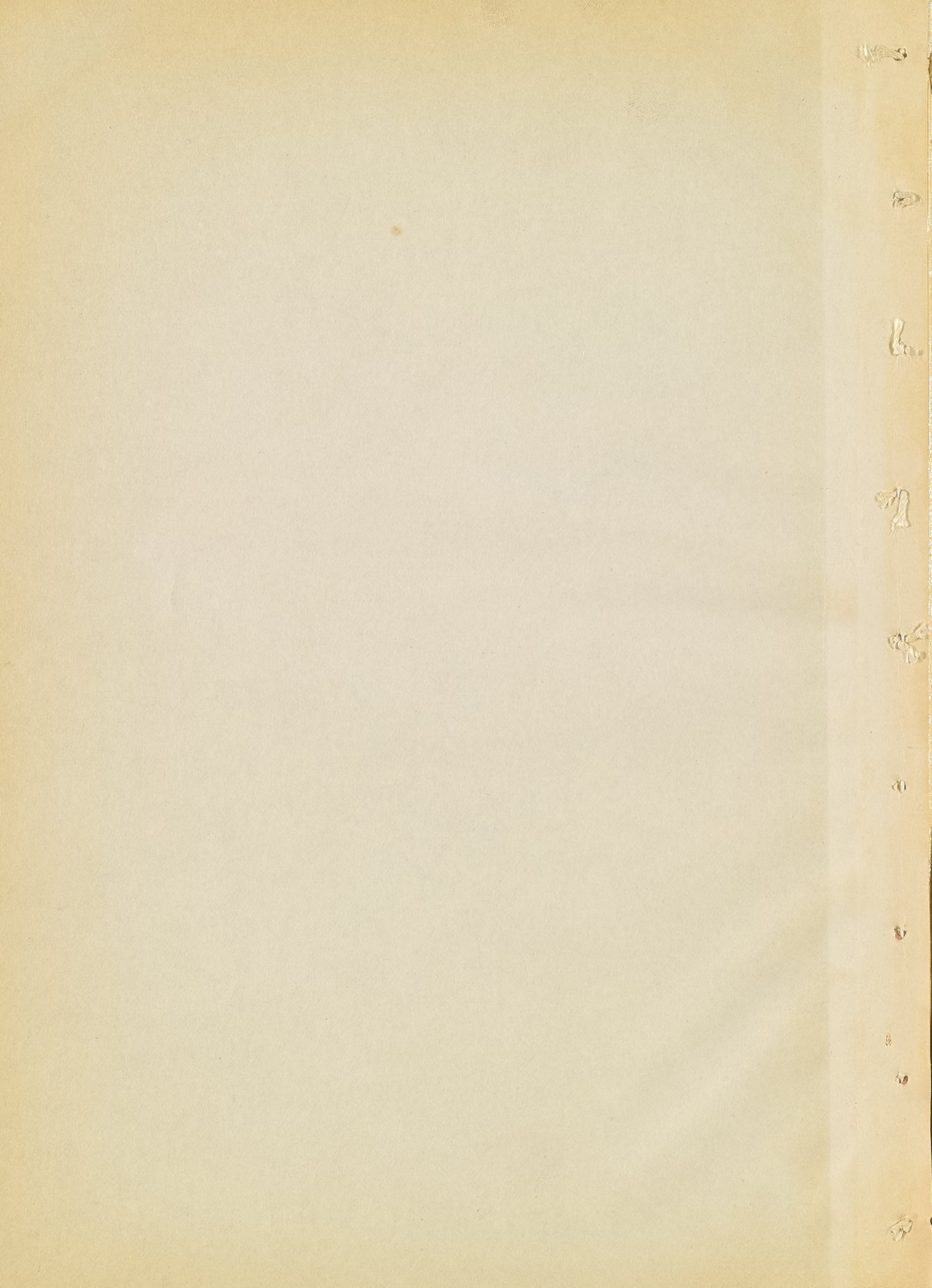
المطبعة اليوسفية

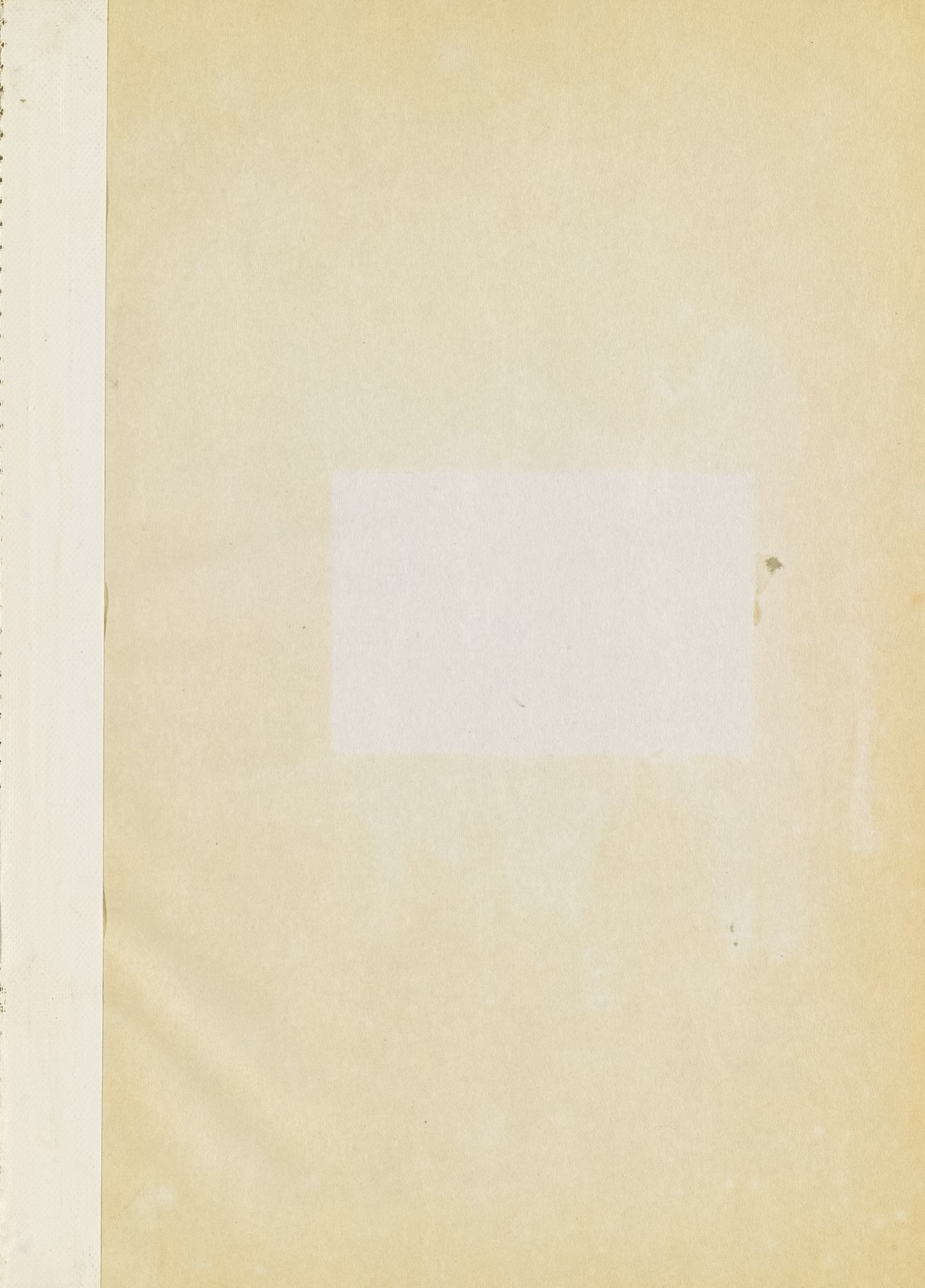
طنطا - ميدان المديرية

جمادى الثانية سنة ١٣٦٩ - مارس سنة ١٩٥٠










Princeton University Library
32101 074485911